

قطري بن الفجاءة

«حياته وشعره»

د. وليد قصّاب

أستاذ الأدب والنقد
في كلية الدراسات الإسلامية والعربية
دبي

دار الثقافة

مكتبة الغزالي



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

إن قطريّ بن الفجاءة ـ موضوعَ هذه الدّراسة ـ شخصية حيويّة متدفقة، لافتة للنظر لأكثر من سبب؛ فهو قائد سياسيّ مشهور، وهو فارس شجاع مقاتل، وهو ثائر خارج على السلطة والقانون، وهو صلب في معتقده، متين في دينه، مُفرطٌ مُغَالٍ في اندفاعه وحماسته. وهو ـ فوق ذلك كلّه ـ شاعر متميِّز، وخطيب مفوّه، وفصيح بليغ، من رجال العصر الأموي.

ولعل الأدب العربيّ لم يعرف شاعراً من هذا الطِراز. عرف تاريخ الأدب شعراء فرساناً كثيرين، ولكنهم لم يكونوا ـ في غالب الأحيان ـ زعماء سياسيين أصحاب اتجاه فكريّ واضح متميِّز. وعرف هذا التاريخ شعراء ثوّاراً، حملوا السيف، وخرجوا على القانون، وقد أحسّوا بالاضطهاد، واستشعروا الظلم، كالصعاليك مثلاً، ولكنه لم يعرفهم قوّاد جيش منظّم مدرَّب، يقارع الدولة من مكان إلى مكان، ومن موقعة إلى أخرى رَدَحاً طويلاً من الزمن بلا استكانة ولا هوادة.

لقد ظلّ قطري بن الفجاءة ـ الشاعر الأموي الخارجي ـ على مسرح التاريخ بضع عشرة أو عشرين سنة يقارع ويجالد، ويقود الحروب والوقائع ضد بني أمية، ويستعرض الناس، ويُبيح دماء المسلمين وأعراضهم حتى كان مصرعه الدّرامي خاتمة لهذا الجلاد الطويل، والشموخ القاهر العنيد.

لقد تجمّعت في هذه الشخصية إذن الشاعرية والخطابة والفروسية

والثورة والزّعامة السياسية والاتجاه العقديّ المُغالي. ومن هنا بدت هذه الشخصية نمطاً متفرِّداً، كاسراً حدة المألوف، وطوق المعهود في أصناف الرّجال. وهو ـ على هذا التفرّد والبريق ـ لم يحظَ بدرس كافٍ يميط عنه اللثام، وهذه محاولة متواضعة ـ في حدود ما أُتيح لصاحبها من وقت ومعطيات ـ للتعرف على بعض الجوانب من شخصية قطري بن الفجاءة صاحب هذا الألق الجذّاب.

وهذا الكتاب في أصله بحث ألقي في الندوة العلمية التي عقدتها جامعة الإمارات العربية المتحدة بالتعاون مع المجمع الثقافي في أبو ظبي بعنوان «مكانة الخليج العربي في التاريخ الإسلامي» في فترة صدر الإسلام إلى نهاية العصر العباسي الأول، وقد عقدت هذه الندوة ما بين الفترة من (٢٠ ـ ١٤٠٨/٧/٢٢ هـ) الموافق (٨ ـ ١٩٨٨/٣/١٠ م).

أسأل تعالى أن يجعله جهداً مثمراً، وأن ينفع به، ويثيب به... وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين...

أبو أنس (وليد)
دبي: ١٤١٣/٥/١٢ هـ
١٩٩٢/١١/٧ م

القسم الأول

قطريّ: نشأةً وتاريخاً

قال الزَبَيْريّ: «ما استحيا شجاعٌ
أن يفِرّ من قطريّ بنِ الفُجاءة».



لا نكاد نعرف شيئاً ذا بال عن نشأة قطريّ بن الفجاءة وأسرته وحياته المبكرة، كما أنه ليس بين أيدينا شيء من أخباره قبل أن يقترن اسمه بالخوارج، ويظهر على مسرح التاريخ واحداً من أبرز شخصياتهم القيادية، وأطولها عمراً. إن اسمه مقترن بمذهبه الدينيّ. ويوشك ـ لولا هذا الجانب ـ ألا يكون له ذكر إلا في النادر اليسير، فليس له ـ بعيداً عن هذا الاحتفاء التاريخي ـ ترجمة في مصادر الأدب، أو طبقات الشعراء، شأن غيره من الشعراء أو الخطباء. وقد طغى هذا الجانب السياسيّ على ما عداه، واستأثر باهتمام من كتبوا عنه، أو ترجموا له.

١ ـ اسمُه ونسبُه:

يُعرف بقطريّ بن الفجاءة. وقد ذهب المسعودي إلى القول إن (الفجاءة) أمّه، وكانت من بني شيبان[١]، فهو يُنسب إليها كبعض من نُسِب إلى أمه، ولكنه قول شاذ لم يشايعه عليه أحد فيما وقع لنا من المصادر التي اطّلعنا عليها، فقد ذكرت جميعها أن الفجاءة أبوه، وهو مشتق من فجِئه الأمر يفجؤه فُجأة وفُجاءة. وانفرد صاحب النجوم الزاهرة بتسميته (قطريّ بن فُجْأة)[٢] وما أدري إن كان هذا سهواً من الناسخ، أو خطأً في الأصل، أو من هفوات الطباعة الكثيرة؟ فإن الثابت أنه (فجاءة) بالمدّ. وهو لقب عُرِف به هذا الأب لأنه غاب إلى اليمن، ثمّ أتى قومه فُجاءة[٣].

(١) مروج الذهب: ١٤٣/٣.
(٢) النجوم الزاهرة: ١٩٧/١.
(٣) جمهرة أنساب العرب: ٢١٢.

ثم اختُلِف بعد ذلك في الاسم الحقيقيّ لهذا الفجاءة، فقيل: اسمه (جعونة) وقيل: (مازن)[١] والذين يذهبون إلى أن اسمه مازن يرون أن جعونة هو اسم الابن قطريّ لا الوالد. وقد يكون مصدر هذا اللَّبْس قول ابن حزم ـ وهو يسوق لنا نسبه ـ: «هو قطريّ بن الفجاءة، والفجاءة لقب أبيه، لأنه غاب إلى اليمن، ثم أتى قومه فجاءة. واسمه جعونة»[٢] إذ ليس من الواضح تماماً مرجع الضمير في قوله: (واسمه جعونة) أيعود على قطري فيكون هو جعونة، أم يعود على الفجاءة فيكون جعونة اسم أبيه؟ وإن كان الأدنى عودة الضمير على الأب، فهو أقرب مذكور قبله في السّياق. وقد ارتأى ذلك الأستاذ عبدالسلام هارون، فأثبت في فهرس أعلام الجمهرة (جعونة) على أنه الفجاءة والد قطريّ، وأكّد ذلك مرة أخرى وهو يترجم لقطري في حاشية البيان، إذ قال: «واسم الفجاءة جعونة»[٣] ولكنه نقض ذلك مرة ثانية فقال عند ترجمته له في حاشية الحيوان: «واسم قطريّ جعونة، واسم أبيه مازن»[٤] وقد جزم الذهبي أن جعونة هو الأب[٥]. وجزم صاحب الجمهرة أن الابن هو جعونة بن مازن، فجعل مازناً والد جعونة لا والد قطري[٦]، وكذلك صاحب تاج العروس[٧]. وقال ابن خلّكان في ترجمته: «قطري بن الفجاءة، واسمه جعونة بن مازن..»[٨] ونقل عنه الزركليّ ذلك[٩]. وعلى عدم وضوح مرجع الضمير في عبارة ابن خلكان إلا أن الأرجح عودته على قطري. ولعل هذا ما فهمه محقق التذكرة

---

(١) سمط اللآلي: ٥٩٠.
(٢) جمهرة أنساب العرب: ٢١٢.
(٣) البيان والتبيين: ١/٣٤١.
(٤) الحيوان: ٤/٣٥٨.
(٥) سير أعلام النبلاء: ٤/١٥٢.
(٦) خزانة الأدب: ١٠/١٦٥.
(٧) تاج العروس (قطر).
(٨) وفيات الأعيان: ٤/٩٣.
(٩) الأعلام (قطري): ٦/٤٧.

السعدية[1] وغيره ممن ذهب إلى أن جعونة هو اسم قطريّ.

وإذن فإن جعونة يحتمل أن يكون اسم الفجاءة الأب الذي لُقّب بذلك بعد أن غاب عن أسرته دهراً ثم رجع إليهم فجاءة، ويحتمل أن يكون اسم الابن الذي كان يلقب بقطري كما سنبيّن، وفي الحالة الثانية يكون (مازن) هو اسم الأب. وليس بين أيدينا ما يحمل على ترجيح أحد الوجهين ما دام كلّ من الأب والابن يحمل لقباً آخر، صار اسمه الذي يُعرف به.

وأما النّسب الكامل له فهو «قطري بن الفجاءة، واسمه جعونة بن مازن بن يزيد بن زياد بن خنثر بن كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بن مرّ المازني..»[2]. فهو مازني تميميّ، من رجال كابية الذين هم من قبائل حرقوص[3]. وقد عاشت تميم في منطقة واسعة من الجزيرة العربية على الخليج العربيّ.

(١) حاشية التذكرة السعدية: ٢٧٠، وانظر كذلك شرح الحماسة للمرزوقي: ١/١٣٦.
(٢) وفيات الأعيان: ٤/٩٣، وخزانة الأدب: ١٠/١٦٥، وقد توقف عند مالك، والمعارف: ٤١١، وقد توقف عند تميم.
(٣) الاشتقاق: ٢٠٣.

٢ ـ موطن قطريّ

قطريّ من أبناء الخليج العربي، وهو ـ كما ذكرتْ كثير من المصادر ـ من قطر. قال عنه الخطيب التبريزي: «القطري منسوب إلى موضع يقال له: قطر»[١] وقال البغدادي: «وقطري منسوب إلى قطر، وهو موضع بين البحر وعُمان، من بلاد البحرين..»[٢] وقال الصفديّ في حاشيته على الصّحاح: «منسوب إلى قطر بالسِّيف على ما ذكره بعضهم»[٣] وقال ابن خلكان: «وقد قيل: إن قولهم قطري ليس باسم له، ولكنه نسب إلى موضع بين البحرين وعمان، وهو بلد كان منه أبو نعامة المذكور، فنسب إليه، وقيل: إنه هو قصبة عمان، والقصبة هي كرسيّ الكورة»[٤] وقال الجوهري: «زعم بعضهم أن أصل الاسم مأخوذ من قِطْري النّعال»[٥] وهي ـ فيما يبدو ـ تأتي من قطر، ففي اللسان أن البرود القِطْرية «تأتي من قبل البحرين. قال أبو منصور: وبالبحرين على سِيْف عُمان مدينة يقال لها: قطر. قال: وأحسبهم نسبوا هذه الثياب إليها، فخفّفوا وكسروا القاف للنّسبة، وقالوا: قِطري، والأصل قطري..»[٦].

فقطري إذن من هذه المنطقة من الخليج العربيّ بين عمان والبحرين

---

(١) شرح ديوان الحماسة: ١/٤٩.
(٢) شرح شواهد المغني: ٣/٣١٢.
(٣) خزانة الأدب: ١٠/١٦٤.
(٤) وفيات الأعيان: ٤/٩٥.
(٥) الصحاح (قطر).
(٦) اللسان (قطر).

التي تسمى (قطر) وقد نُسب إليها، وعُرِف بهذه التسمية دون غيرها. ويبدو أنها كانت قرية مشهورة عند العرب بضروب معينة من الثياب والإبل والنّعال، فنُسبت هذه الأشياء إليها. يقول ياقوت: «قال أبو منصور: في أعراض البحرين على ميف الخطّ بين عمان والعُقير قرية يقال لها: قطر. وأحسب الثياب القطرية تنسب إليها»[1] وقال البكري: «موضع بين البحرين وعمان تنسب إليها الإبل الجياد. وقطر هذه أكثر بلاد البحرين حُمُراً. قال عبدة بن الطبيب:

تذكَّر ساداتُنا أهلَهم ... وخافوا عُمان وخافوا قطر[2]»

ولعل ممّا يؤيد نسبة قطري إلى قطر أن اسمه يرد في مصادر كثيرة معرفاً بأل (القطري) ممّا يوحي أن هذا لقبه[3].

وذهب أبو العلاء المعري إلى أن مولد قطري بن الفجاءة كان في مكان يسمى (الأعدان) وهو ماء لبني تميم بن مازن، وأن قطرياً سمّي بهذا الاسم[4]. وأكد ياقوت هذا، فذكر أن الفجاءة قال لأخيه الماحوز ـ وكان من أصحاب المهلب ـ وكانا تواقفا في صفيهما: «أرأيت إذ كنتُ أنا وأنت نتدافع على ثدي أمّنا بالأعدان. والأعدان ماء لبني مازن بن تميم»[5] ولعل الأعدان هذه ضاحية من قطر كان يعرِّس عليها قوم قطري. ومن الواضح من قول قطري لأخيه أنه قد ولد فيها، ولعله نشأ وترعرع، فهو يذكِّره إذ كانا صغيرين يتدافعان على ثدي أمهما هناك.

---

(١) معجم البلدان (قطر).

(٢) معجم ما استعجم (قطر).

(٣) انظر مثلاً شرح الحماسة للمرزوقي: ١/١٣٦، والتذكرة السعدية: ٢١٧، وورد في شرح الحماسة للتبريزي أكثر من مرة، انظر: ١/٢٥.

(٤) شرح الحماسة للتبريزي: ١/٤٩.

(٥) معجم البلدان (أعدان).

٣ ـ نشأته وأسرته

٣ ـ نشأته وأسرته:

لا نعرف شيئاً عن حياة قطريّ المبكرة أو نشأته الأولى أو تاريخ ولادته، لأن اسمه لم يبدأ بالظهور على مسرح التاريخ إلا عندما انضمّ إلى صف الخوارج، وصار واحداً من أشهر شخصياتهم وأبعدها ذكراً. ولكننا نعرف أن قطرياً قتل ما بين (٧٧ ـ ٨٠ هـ) ويحدّثنا أبو هلال العسكري أنه «يوم قُتل كان شيخاً كبيراً»[1] فإذا قدَّرنا أن الشيخوخة تبدأ ما بين الستين والسبعين خمَّنّا أن يكون قطري قد ولد ما بين السنة السابعة إلى السنة التاسعة عشرة للهجرة تقريباً. ولعله لم يشهد حروب الرِّدة، أو شهدها وكان طفلاً صغيراً.

ولا نعرف عن أسرته شيئاً ذا بال. حُدِّثنا عن أبيه (الفجاءة) الذي غاب عن أهله إلى اليمن لسبب نجهله، ثم عاد إليهم عودة مفاجئة، ولا شكّ أن اللقب الذي أطلق عليه بسبب هذه العودة يُشعر أنه قد غاب طويلاً، ولعلّ قومه قد يئسوا من عودته.

وحُدِّثنا عن أخ له لعله في مثل سنه أو أصغر أو أكبر بقليل؛ إذ كانا يتدافعان على ثدي أمّهما بالأعدان على نحو ما سبق، وقد رأينا في الخبر السابق أن اسم هذا الأخ (الماحوز) كما ذكر ياقوت. ولكن الأشهر الأغلب أن اسمه (جرموز) بن الفجاءة، وكان على مذهب أهل السنة[2]، وكان في

---

(١) الأوائل: ٢/١١١.

(٢) جمهرة أنساب العرب: ٢١٢، والبرصان والعرجان: ٦٨.

جيش المهلب بن أبي صفرة يقاتل أخاه. ويبدو أن انضمامه إلى جيش المسلمين لقتال الخوارج قد حدث بعد أن اشتدّت شوكة أخيه، واستفحل خطره. ولعله أُلزم بهذه المواجهة إلزاماً؛ فقد حدّثنا ابن خلكان أن الحجاج قد أُتي بجرموز هذا فقال له: «لأقتلنَّك». وهذا يعني أن الحجاج كان يظنّه على مذهب أخيه، أو على رضى بما يصنع على الأقلّ. ولكن جرموز يواجه الحجاج بشجاعة وثقة، ويقول له: «لم ذاك؟ قال: لخروج أخيك. قال: فإن معي كتاب أمير المؤمنين ألا تأخذني بذنب أخي. قال: هاته. قال: فمعي ما هو أوكد منه. قال: ما هو؟ قال: كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ حيث يقول: ﴿ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى﴾. فعجب منه، وخلَّى سبيله»[1] ومن الواضح ها هنا أن جرموز لما يكن انضمّ بعدُ إلى قتال الخوارج، وإلا لما همَّ الحجاج أن يأخذه بشبهة القرابة أو تهمة الانتماء إلى أخيه. ويبدو أنه قد خرج إلى هذه المواجهة بعد ذلك. وقد التقيا في إحدى المعارك بين الصفين وجهاً لوجه، ودار بينهما حوار عنيف، ولكنه طريف، وقد نقلنا جزءاً منه عن معجم البلدان فيما تقدَّم، وسنعرض لقسم آخر منه بعد قليل.

وقد ذكر ابن قتيبة وغيره أنه لا عَقِب لقطريّ[2]، ولكنّ بين أيدينا أخباراً أخرى تناقض هذا القول[3]، وتشعر أن قطرياً قد ترك من خلفه عقباً، وقد يكون خلّف أكثر من ولد، فقد ذكر لنا الجاحظ قسماً آخر من ذلك الحوار الذي دار بين قطري الخارجي وأخيه جرموز السُّنّي عندما التقيا بين الصفين. قال له جرموز: «بلغني أنك تشتري السّيف بعشرين ألف درهم وأكثر. قال: نعم. قال: أفلا أبعث إليك ببنِيّ تجْبُرهم وتُغنيهم؟ قال قطري: إن بعثتَ بهم إليّ ضربت أعناقهم، وبعثتُ إليك برؤوسهم. قال جرموز: يا عجباً، بنوك وعيالك في منزلي بالبصرة أُمونهم، وأبعث إليك

---

(١) وفيات الأعيان: ٤/٩٥.

(٢) المعارف: ٤١١، وشذرات الذهب: ١/٨٧ الذي نقل كلام ابن قتيبة، وانظر وفيات الأعيان: ٤/٩٤.

(٣) إلا إن كان ابن قتيبة قصد أنه ليس في زمانه عقب معروف لقطري.

ببنِيّ تضرب أعناقهم! قال قطريّ: إن الذي صنعتَ بعيالي تراه في دينك، والذي أصنع بعيالك شيء أراه في ديني. قال له جرموز: هل أصبت بعدي ولداً. قال: نعم. قال: فنادى بغلام شاب على بِرذَوْن، فقال جرموز: لعلك أفسدتَه بشيء من هذه الأعاجم ومن هذه السَّبايا. قال: معاذ الله، أمّه الوجناء بنت الحبناء. ثم قال: يا جرموز، إنّ به العلامة التي بنا أهلَ البيت - يعني الوَضَح - يقول: إن رأيته فاعرفه..»[1].

إن هذا الخبر لذو دلالة عميقة؛ فقد عرَّفنا بعضاً من أفراد أسرة قطري. عرفنا أنّ له زوجة اسمها (الوجناء بنت الحبناء) وولداً منها به وضح شديد، وهي علامة فارقة في نسل قطري. وقد كان هذا الابن غلاماً شاباً، وكان في صفّ أبيه يقاتل معه، ولعلّ أمه الوجناء كانت معه كذلك. وعرفنا أن له عيالاً وأولاداً آخرين، وكانوا مقيمين في بيت عمّهم (جرموز) في البصرة يعولهم ويمونهم. وما ندري سبب إقامتهم عنده. أكانوا على غير مذهب قطري ورفضوا أن يخرجوا، أم أنه تركهم وخرج إلى قتاله وحروبه لسبب آخر فتكفَّل بهم أخوه؟ ولعل الاحتمال الأول هو الأرجح؟ لأنهم لو كانوا على مذهب أبيهم لما تركهم أعداؤه فيما نقدِّر.

وإذن، فإن لقطري عقباً، بل إن الخبر السابق ليشعر أنّ له أكثر من ولد، منهم من كان معه، ومنهم من كان في مكان آخر، ولعل (محمداً) الذي كان يكنى به واحد منهم. ذكر الجاحظ أنه كانت لقطريّ كنيتان: أبو نعامة في الحرب، ونعامة فرسه، وأبو محمد في السلم[2]. ولا ندري من محمد هذا؟ أهو ابن الوجناء الذي كان معه في حروبه وتنقلاته أم أحد الذين كانوا في البصرة؟.

ويبدو أنه كان لقطري عدد من السبايا والجواري، وقد أشار أخوه في حواره معه إلى ذلك، وخشي أن يكون قد أفسد نسله أو هجَّنه بواحدة

---

(١) البرصان والعرجان: ٦٧.

(٢) البيان والتبيين: ٣/٢٦٤.

منهنّ. وقد ذكر الطبريّ في خبر مصرعه ما يُشْعِرُ بذلك أيضاً، فروى أنَّ قطرياً عندما لحقه المسلمون في شِعاب طبرستان تفرَّق عنه أصحابه، وثبتت معه مجموعة من النسوة كنّ يقاتلن معه. قال معاوية بن مِحْصن الكندي: «رأيته حيث هوى ولم أعرفه، ونظرتُ إلى خمس عشرة امرأة عربية هن في الجمال والبزازة وحسن الهيئة كما شاء ربّك، ما عدا عجوزاً فيهن، فحملت عليهن، فصرفتهن إلى سفيان بن الأبرد، فلما دنوت بهن منه انتحت لي بسيفها العجوز فتضرب به عنقي، فقطعتْ المِغْفر، وقطعت جلدة من حلقي، وأختلجُ السيف فأضرب به وجهها، فأصاب قِحف رأسها، فوقعت ميتة، وأقبلتُ بالفتيات حتى دفعتهن إلى سفيان، وإنه ليضحك من العجوز، وقال: ما أردت إلى قتل هذه أخزاها الله؟ فقلت: أما رأيت ـ أصلحك الله ـ ضربتَها إياي..»[1].

من هؤلاء النسوة؟ ومن هذه العجوز؟ أهنّ جواريه وهذه امرأته؟ أم أنهن كنّ في جيشه؟ وهل يعني هذا عندئذٍ أنه قد ثبت معه النساء وتفرَّق عنه الرِّجال؟ لعل هذه العجوز ـ على الأقلّ ـ زوجه، قد تكون بنت الحبناء التي ورد ذكرها في حواره مع أخيه جرموز.

وعلى العموم فنحن نعرف من النساء اللواتي كنّ مع قطريّ في حروبه واحدة مشهورة جداً، وهي (أمّ حكيم) بنت عمرو بن عامر بن جعدة بن ثعلبة بن سالم بن مالك بن واقف[2]. وكانت امرأة شجاعة، وقد قيل عنها إنها «كانت من أشجع الناس، وأجملهم وجهاً، وأحسنهم بدينهم تمسُّكاً، وخطبها جماعة منهم فردَّتهم ولم تجب إلى ذلك، فأخبرني من شهدها أنها كانت تحمل على الناس، وترتجز:

أحمل رأساً قد سئمتُ حَمْلَه وقد مَلِلْتَ دَهْنَه وغَسْلَه
ألا فتىً يحملُ عنّي ثِقْلَه

---

(١) الطبري: ٣٠٩/٦.
(٢) جمهرة أنساب العرب: ٣٤٤.

قال: وهم يُفَدّونهـا بالآبـاء والأمهات، فمـا رأيت قبلها ولا بعـدها مثلها[1].

ولا ندري على وجه التحديد صلتها بقطري، أكانت زوجه، أم جارية من جواريه، أم امرأة عادية في صفوفـه؟ إن أحد الاحتمـالين الأوّلين هو الأرجح، لأنّ قطرياً يقول في شعره الذي ذكرها فيه:

لعمــرُك إني يـوم ألــطمُ وجهَهــا ... على نـائبـاتِ الــدهـرِ جـدُّ لئيمِ

وما كان ليذكر ذلك لو كانت امرأة عادية لا صلة بينه وبينها.

---

(١) الأغاني: ٦/١٥٠.

٤ ـ ملامح من شخصيته

تركت لنا الأخبار شيئاً يسيراً يمكن أن يدلّنا على بعض من ملامح هذه الشخصية العجيبة المتفرّدة، فهو أعرابي بدويّ من بني تميم، ولعله كان أمّياً لم يتح له أن يَثْقَف شيئاً من أصول الكتابة أو القراءة. ويدلّ على ذلك أن الحجاج قد كتب إليه ذات مرّة يقول: «غير أنك أعرابيّ جِلْف أميّ، تستطعم الكِسرة، وتستشفي بالتمرة، والأمور عليك حسرة، خرجت لتنال شُبعة فلحق بك طَغَام صَلُوا بمثل ما صَلِيْت به من العيش..»[1] وعندما ردّ قطري على الحجاج لم ينكر هذا، وقال له: «كتبت إليّ تذكر أني أعرابيّ جلف أُمّي، أستطعم الكسرة، وأستشفي بالتمرة، ولعمري يا ابن أمّ الحجاج إنك لمُتَيَّهٌ في جبلتك..»[2] وقد أشار قطري في شعره إلى هذه النشأة البدوية الأعرابية في قوله عندما قتل:

أنا الذي ولدتُ في أُخرى الإبلْ[3]

ولعل نشأته البدوية قد أكسبته صلابة في الرأي، وخشونة في الطبع كما أشار الحجاج في كتابه إليه، وقد اشتكى بعض الخوارج من غلظة قطريّ، فهذا عبد ربه الصغير عندما انفصل بأصحابه عنه يقول لهم: «قد أراحكم الله من غلظة قطريّ، وعجلة صالح...»[4].

---

(١) البيان والتبيين: ٢/٣١٠.

(٢) السابق: ٢/٣١١.

(٣) الاشتقاق: ١٣٨.

(٤) الكامل للمبرد: ٣/٣٩٧.

ولقد كانت في قطري علامة مميِّزة وهي البرص أو الوضح[1]. ويبدو أنها كانت علامة متوارثة، إذ كان البرص عريقاً في هذه الأسرة. يقول الجاحظ: «ومن البرصان السادة، والأشراف الخطباء، والفرسان المذكورين، والخوارج المقدّمين، ابن الفجاءة، وكذلك ابنه. وكذلك كان أخوال أبيه، لا يُعرف في البرص أعرق من ابن قطري المذكور في هذا الكتاب، فإنه المُقَابَلُ المُدَابَر، والمُعِمّ المُخْوِل، لأن أخواله بنو الحبناء، وأعمامه آل الفجاءة..»[2] وقد مرّ معنا قبل قليل أنه عندما التقى بأخيه جرموز في إحدى المعارك قدَّم له ابنه وفيه علامة الوضح ليبرهن له أنه لم يُحْدِث في نسبه دَخَلاً.

وقد كان قطري شجاعاً بطلاً، وفارساً مقداماً، ومحارباً لا يشق له غبار، وإذا كانت هذه سمة عامة في الخوارج جميعاً[3]؛ فإن قطرياً كان من أفرسهم وأنجدهم[4]، حتى صار يُضْرب به المثل، وحتى صار الشجاع البطل لا يرى غضاضة أن يفرّ منه: «قال الزبيريّ: ما استحيا شجاع أن يفرّ من عبدالله بن خازم السلميّ، وقطريّ بن الفجاءة»[5]، وقد نُقِلت إلينا أخبار كثيرة عن شجاعته.

روي أنَّه مرّ في بعض حروبه على فرس أعجف، وبيده عمود خشب، فدعا إلى البراز، فبرز له رجلٌ، فحسر له عن وجهه، فلما رآه الرجل ولَّى عنه، فقال له قطري: إلى أين؟ قال: لا نستحيي أن نفرّ منك. وروى رجل من العرب قال: انهزمنا من قطري وأصحابه، فأدركني

---

(١) المحبّر: ٣٠٢.

(٢) البرصان والعرجان: ٦٧.

(٣) انظر رسائل الجاحظ: ١/٤٣ - ٤٥ في حديثه عن شجاعة الخارجي، ومقارنتها بشجاعة التركي.

(٤) عيون الأخبار: ١/١٧٥، والعقد: ١/١١٧ حيث يعدّد فرسان العرب في الجاهلية والإسلام.

(٥) غرر الخصائص الواضحة: ٣٢٣.

رجل على فرس، فسمعت حسًّا منكراً خلفي، فالتفتُّ فإذا أنا بقطري، فيئست من الحياة، فلما عرفني قال: اشدد عنانها، وأوجع خاصرتها، قطع الله يديك. قال: ففعلت، فنجوت منه[1].

ولقد وصفه أحسن وصف صديقه ورفيق سلاحه عبيدةُ بن هلال عندما أراد الخوارج توليته عليهم، إذ صرفهم إليه، وقال لهم: «أدلّكم على من هو خير لكم مني، مَنْ يطاعن في قُبُل، ويحمي في دُبُر، عليكم بقطري بن الفجاءة المازني، فبايعوه..»[2].

ولخّص صاحب سنا المهتدي وصفه في قوله: «كان طامّة كبرى وصاعقة من صواعق الدنيا، في الشجاعة والقوة»[3].

وكان قطري ـ زيادة على شجاعته وبأسه ـ ناسكاً متعبّداً. يقول الدينوري: «وولوا على أنفسهم رجلاً من نسّاكهم يسمّى قطري بن الفجاءة»[4].

وأشعار قطري وخطبه توحي بزهد في الحياة، ورغبة عنها، يقول في وصفها: «أحذِّركم الدنيا فإنها حلوة خضِرة، حُفَّت بالشهوات، وراقت بالقليل، وتحبّبت بالعاجلة، وحلّيت بالآمال، وتزيَّنت بالغرور، لا تدوم حَبْرتُها، ولا تُؤمن فَجْعَتُها، غرَّارة ضرَّارة، خوَّانة غدَّارة..»[5] ولكن هل كان قطري هكذا في الحياة العملية؟ لقد قدَّرنا أنه كان لقطريّ عدد من السبايا والجواري، وقد أشار أخوه جرموز إلى ذلك في حواره معه، ورأينا أنه كانت معه خمس عشرة امرأة عربية هنَّ في الجمال والبزازة كما شاء ربك على حدّ تعبير الطبريّ، وكان له مال كثير، حتى كان يشتري السيف ـ كما قال جرموز ـ بعشرين ألف درهم وأكثر، حتى قال له أخوه ـ على سبيل التعريض به ـ: أفلا أبعث إليك ببنيّ تجبُرهم وتغنيهم؟.

---

(١) عيون الأخبار: ١٧٣/١، والعفو والاعتذار: ٥٤٦.
(٢) الكامل للمبرد: ٣٤٧/٣.
(٣) الأعلام: ٤٧/٦.
(٤) الأخبار الطوال: ٢٧٥.
(٥) البيان والتبيين: ١٢٦/٢.

٥ ــ قطريّ والأزارقة

إن قطرياً من أزارقة الخوارج، وهم طائفة من الغلاة المبتدعين المتطرفين يُنسبون إلى نافع بن الأزرق الحنفيّ. وكان شجاعاً مقدَّماً في فقه الخوارج «وكان يُفتي بأنّ الدار دار كفر، وأنهم جميعاً في النار، وكلّ من فيها كافر، إلا من أظهر إيمانه، ولا يحلّ للمؤمنين أن يجيبوا داعياً إلى الصلاة، ولا أن يأكلوا من ذبائحهم، ولا أن يناكحوهم، ولا يتوارث الخارجيّ وغيره، وهم مثل كفار العرب وعبدة الأوثان، لا يُقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، والقَعَد بمنزلتهم، والتقيَّة لا تحل..»[1] وأضاف نافع إلى هذا الغلو والضلال إباحة قتل أطفال المخالفين والنسوة منهم، وإسقاط الرجم عن الزاني، وإسقاط حدّ القذف عمَّن قذف المحصن من الرجال مع وجوب الحَدّ على قاذف المحصنات. وحكمه بأن أطفال المشركين في النار مع آبائهم، وأن مرتكب الكبيرة كافر كفر ملة، خرج به عن الإسلام جملة، ويكون مخلّداً في النار مع سائر الكفار[2]. وقد انفضّ عنه بسبب هذه المخرقات والبدع بعض من أصحابه، ومنهم نجدة بن عامر الذي سار بمن معه إلى اليمامة، وراح يُحَاجِج ابن الأزرق في بعض هذه البدع، ويبيِّن له فساد مذهبه، وهو لا ينصاع[3].

---

(١) الكامل للمبرد: ٤/٢٨٥، شرح نهج البلاغة: ٤/١٣٦.

(٢) انظر الملل والنحل: ١٢٤ ـ ١٢٥، ومقالات الإسلاميين: ١/١٦٧ ـ ١٦٩، والفرق بين الفرق: ٨٢ ـ ٨٤.

(٣) انظر في ذلك شرح نهج البلاغة: ٤/١٣٧ ـ ١٤٠.

وقد ظهر الخوارج على مسرح التاريخ سنة (٣٨ هـ) وحاربهم عليّ في النهروان، وفلَّ حدّهم، ثم تآمروا عليه فاغتالوه سنة (٤٠ هـ) وتوالى خروجهم على الأمويين بدءاً من هذا التاريخ، ثم دبَّت بينهم الخلافات فافترقوا فرقاً، منهم النجدات، والصفرية، والإباضية، والأزارقة. ولكن الأزارقة كانوا أقواهم شوكة، وأبعدهم ذكراً، وأكثرهم غلواً.

يمتد تاريخ الأزارقة من سنة (٦٤ هـ) إلى ما بين سنة (٧٧ ـ ٨٠ هـ) وهو التاريخ الذي كان فيه مصرع قطريّ آخر زعمائهم. وكان نافع أول زعمائهم، وقد خرج بأصحابه من البصرة إلى الأهواز في سنة أربع وستين، فطردوا هنالك عمال السلطان، وجبوا الفيء، وراحوا يعترضون الناس، ويقتلون الأطفال، فارتاع أهل البصرة، فاجتمعوا على مسلم بن عبيس، فلحق بالخوارج في مكان يسمّى (دولاب) ودارت بين الفريقين معركة عنيفة مشهورة خلّدها الخوارج في أشعارهم، فقُتل نافع بن الأزرق، فأمَّرت الأزارقة عليهم (عبدالله بن الماحوز) واقتتل الفريقان قتالاً عنيفاً، فهلك عبدالله كذلك في دولاب، فأمَّرت الخوارج أخاه عبيدالله بن الماحوز الذي أشرف على سير القتال في أواخر المعركة، ثم قادهم في معركة (سُولاف) وفي معركة (سِلَّى وسِلَّبْرَى) وقُتل في هذه الأخيرة سنة (٦٦ هـ)[1] ثم تولى قيادة الخوارج الزبير بن الماحوز، وظلّ يقودهم حتى قتل سنة (٦٨ هـ) فانحازت الخوارج إلى قطريّ بن الفجاءة، فبايعوه[2]. وبدأ قطري يقودهم من يومذاك. وأرجعت بعض المصادر قيادة قطري للخوارج إلى قبل هذا التاريخ؛ فقد ذكر ابن الأثير أنه كان قائد الخوارج في سولاف[3]، وذهب بعضهم إلى أن قطرياً هو الذي قادهم في سِلَّى..[4].

---

(١) الكامل للمبرد: ٣/٣٢٥.
(٢) الطبري: ٦/١٢٦.
(٣) الكامل: ٤/٢٨٦.
(٤) الروض المعطار: ٣٢٠.

وعلى كلّ فإن المصادر التاريخية التي بين أيدينا تبدأ بذكر قطري من يوم (دولاب) وقد قاتل في هذه المعركة قتالاً عنيفاً، وكان له دور متميِّز، وقد افتخر ببلائه في هذا اليوم في قصيدته التي ذكر فيها أمّ حكيم التي كانت معه:

ولو شهدَتْني يومَ دولابَ أبصرتْ ... طعانَ فتىً في الحرب غيرَ ذميمِ
غداةَ طفت عَالْماءِ بكرُ بنُ وائل ... وعُجْنا صدورَ الخيل نحو تميمِ (١)

ثم يتوالى ظهور اسم قطري على مسرح التاريخ بعد ذلك، وقد ظلّ يقود الأزارقة، ويسمّى فيهم أمير المؤمنين بضع عشرة سنة، وهي أطول فترة تولاها قائد فيهم، وبمصرعه ما بين سنة (٧٧ - ٨٠ هـ) أفل نجم الأزارقة، ودالت دولتهم، وانقرضوا فلم يعد لهم شأن.. (٢).

ونحن لا نعرف متى انضمّ قطري إلى صفوف الخوارج؛ لأن اسمه يظهر لأول مرة يوم دولاب سنة (٦٥ هـ) كما ذكرنا، ثم يتوالى ظهور هذا الاسم بعد هذا التاريخ مشعراً أن قطرياً كان له شأن متميِّز في القوم؛ فهو يوشك أن يكون مشيرهم، وصاحب الرأي فيهم، وهو ذو خبرة بالقتال، ومعرفة بأقدار الرجال، فها نحن أولاء نسمعه في ولاية ابن الزبير يقول لأصحابه وقد بلغه تداول المسلمين فيمن يرسلونه إلى قتال الأزارقة: «إن جاءكم عبيدالله بن أبي بكرة أتاكم سيِّد سمح جواد كريم، مضيع لعسكره، وإن جاءكم عمر بن عبيدالله بن معمر أتاكم شجاع بطل فارس جواد، يقاتل لدينه وملكه، وبطبيعة لم أرَ مثلها لأحد، فقد شهدته في وقائع فما نودي في القوم لحرب إلا كان أول فارس يطلع حتى يشدّ على قرنه فيضربه، وإن رُدّ المهلب فهو من قد عرفتموه..»(٣) وعندما تولّى قتالهم عمر بن عبيدالله، ودارت المعركة بينه وبينهم، فقتل ابنه عبيدالله بن عمر قال قطريّ لأصحابه

---

(١) الكامل للمبرد: ٢٩٧/٣، والأغاني: ١٤٠/٦.
(٢) الكامل لابن الأثير: ٤٤٣/٤، والفرق بين الفرق: ٨٧.
(٣) الكامل للمبرد: ٣٣٥/٣.

محذِّراً إياهم من قتال عمر في هذا اليوم: «لا تقاتلوا عمر اليوم فإنه موتور..»[1] إذ يعني هذا أنه سيقاتلهم بضراوة؛ لأن جرحه حديث، وقد صدق حَدْس قطري، فقد حمل عمر على الأزارقة حملة نكراء، وضرب قطرياً على جبينه ففلقه، وانهزمت الخوارج، وانتهبها، فلما استقروا قال لهم قطريّ: «أما أشرتُ عليكم بالانصراف»[2] ويقع في أيديهم في هذا اليوم الغِزْرُ بن مِهزم العَبْدي، ويريدون قتله، فيقبل قطري، ويسأله عن أقاويلهم، فيشير بإطلاق سراحه[3]. ويلحقهم عمر إلى أرَّجان، ويضرب رجالهم بعنف، فيركض إليه قطري «على فرس طِمِرّة، وعمر على مهر، فاستعلاه قطري بقوة فرسه حتى كاد يصرعه، فبصُر به مجّاعة، فأسرع إليه، فصاحت الخوارج بقطريّ: يا أبا نعامة، إن عدو الله قد رهِقَك، فانحط على قربوسه، فطعنه مجّاعة، وعلى قطريّ درعان فهتكهما، وأسرع السنان في رأس قطريّ، فكشط عنه جلده، ونجا..»[4].

وهكذا كان دور قطري متميِّزاً قبل أن يتولى إمرة الأزارقة، فهو من وجوه القوم، ذو رأي ومشورة فيهم، ولا شك أن هذا هو الذي حملهم على أن يبايعوه بعد ذلك.

ولعل قطرياً لم يكن في صفوف الخوارج منذ بادىء الأمر، لأن اسمه لم يرد قبل دولاب، وإذا صحَّ توجيه أبي العلاء المعري لقول الرَّجل.

ثم انصرفتُ وقد أصبتُ ولم أُصَبْ   جذَعَ البَصيرةِ قارحَ الإقدام

إذ قال: «يريد أنه مذ كان لم يزل شجاعاً، فإقدامه قارح لأنه قديم، ويعني بقوله: جذع البصيرة، أنه كان فيما سلف لا يرى رأي الخوارج، ثم

(١) الكامل للمبرد: ٣/٣٣٦.
(٢) السابق: ٣/٣٣٧.
(٣) السابق وصفحته.
(٤) السابق: ٣/٣٣٨.

تبصَّر في آخر أمره، فعلم أنهم على الحق فاتّبعهم»[1] فإنه يدل على أن قطرياً لم يخرج مع القوم منذ أول أمرهم.

ومهما يكن من أمر فإن الذي لا شك فيه أن ابن الفجاءة هو أبرز شخصية في الخوارج جميعاً، لا في الأزارقة وحدهم، فقد ظلّ فيهم أمير المؤمنين أكثر من عشر سنوات، يقودهم من حرب إلى حرب، ومن موقعة إلى أخرى. وإذا عرفنا أن عمر الأزارقة ـ أعظم فرق الخوارج ـ خمس عشرة أو ست عشرة سنة (٦٤ ـ ٨٠ هـ) أدركنا موقع ابن الفجاءة فيها، فقد تولى قيادتها وكان أميرها ثلثيّ هذه المدة أو أكثر، وكان في سائر السنوات الأخرى المشير والوزير وصاحب اليد الطولى فيها..

(١) شرح حماسة أبي تمام للتبريزي: ١/٦٩.

٦ ـ مصرع قطري

اختُلِف في تاريخ مصرع قطري، فقيل إن وفاته كانت في سنة سبع وسبعين[١]، وقيل في ثمانٍ وسبعين[٢]، وقيل تسعٍ وسبعين[٣]، وقيل في سنة ثمانين..[٤].

وكانت كلمة الأزارقة قد بدأت تتشعَّب بكرمان، ويقع بأسهم بينهم حول عدد من المسائل التي اختلفوا حولها، ونجح المهلب بن أبي صفرة بذكائه وحسن تدبيره في أن يوقع بينهم، وأن يدسّ إليهم من يعمل على إحداث الفتن والشقاق بين صفوفهم[٥]. ثم اشتدّ خلافهم، ونقموا على قطري كذبة وقعوا عليها منه، فقالوا له: تُب، فكره أن يوجب على نفسه التوبة، فخلعوه. وكان في عسكره رجلان: عبد ربه الكبير، وعبد ربه الصغير، فلما امتنع أن يجيبهم إلى التوبة، فيوجد لهم السبيل إلى خلعه، انحاز كل منهما في جيش مخالفاً على قطري، فقصد المهلب عبد ربه الصغير حتى قتله[٦]. ومضى قطري فيمن تبقى معه، وقد وهن أمره إلى طبرستان. وقد

(١) الطبري: ٦/٣١٠، الكامل لابن الأثير: ٤/٤٤١، النجوم الزاهرة: ١/١٩٧، شرح شواهد المغني للبغدادي: ٣/٣١١.

(٢) الطبري: ٦/٣١٨، وفيات الأعيان: ٤/٩٣، شذرات الذهب: ١/٨٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢/٢٧٦، سير أعلام النبلاء: ٤/١٥٢، شرح شواهد المغني للسيوطي: ٤٤٠، وفيان الأعيان: ٤/٩٤.

(٤) الأخبار الطوال: ٢٦٩ - ٢٨٠ في أحداث سنة ثمانين.

(٥) انظر مكر المهلب بالأزارقة وطرفاً من خلافاتهم في الكامل للمبرد: ٣/٣٨٢ - ٣٩٣.

(٦) تاريخ اليعقوبيّ: ٢/٢٧٤ - ٢٧٦.

عبر ابن الفجاءة في شعره أروع تعبير عن فجيعته بهذا الانقسام الذي حدث في صفوفهم:

ففـرَّق أمـري عبـدُ ربٍّ وصحبُـه ... أدار رحَىٰ مـوتٍ عليه مـديـرُهـا
غَبـرْنـا زمـانـاً والشُّـراةُ بغبـطةٍ ... يُسَـرَّ بهـا مـأمـورُهـا وأميـرُهـا[1]

وبلغ أمره الحجاج، فوجه إليه سفيان بن الأبرد، ومعه جيش عظيم من أهل الشام، فلحقوه في شعب من شعاب طبرستان، فقاتلوه، فتفرَّق عنه أصحابه، ووقع عن دابته في أسفل الشّعب فتدهدى حتى خرَّ إلى أسفله. وجاء قطرياً حيث كان عِلْج من أهـل البلد، فحدر عليـه حجراً عـظيماً، فأصاب إحدى وركيه، وصاح بالناس، فاندفع إليـه نفر من أهـل الكوفـة فقتلوه. وحُمل رأسه إلى الحجاج، فسيّره إلى عبدالملك بن مروان[2].

وروي أن قطرياً قد ارتجز يوم قُتل:

أنـا أبـو نـعـامـةَ الشيـخُ الـهِبَـلّ
أنـا الـذي ولـدتُ في أخـرى الإبـلْ[3]

وهكـذا انتهت حياة هـذا الثائـر المتمرد بعـد حياة حـافلة بـالبـأس والجلاد، لم يذق فيها طعم الراحة، ولا ركن إلى الدعة والأمان.

آمن بعقيـدة شـديـدة الغلو والتـطرف، فخـرج على السلطة، وراح يستعرض الناس، ويبيح دماء المسلمين، بشجاعة منقطعة النظير، وإيمان بالمبدأ ضارب أعمق الجذور. قضى حيـاته خـارجاً على الـدولة، ينتقـل برجاله من مكان إلى مكان، ومن موقعة إلى أخرى، حتى كانت نهايته في طبرستان على يدي جيش الحجاج والي عبدالملك بن مروان على العراق.

---

(١) انظر القصيدة كاملة في شعر الخوارج: ١٣٣.
(٢) الطبري: ٦/٣٠٩ - ٣١١.
(٣) الاشتقاق: ١٣٨.

القسم الثاني

شعر قطريّ

قال أبو عبيدة: «هذا ـ والله ـ هو الشعر، لا ما يتعلّلون به من أشعار المخانيث».



تمهيد

تحاول هذه الدراسة مجتهدة أن تبحث في شعر الخوارج عن صوت قطري بن الفجاءة، وأن تتلمس فيه ضرباً من التفرّد أو التميّز. وقد يبدو هذا طموحاً غير يسير المنال، ولا سيما أن هنالك ما يوشك أن يكون إجماعاً بين الدارسين المحدثين الذين تعرّضوا لشعر الخوارج على أن شعر هؤلاء القوم متشابه، وأن الأنغام فيه متوحّدة، فلا تتمايز هذه الطائفة، ولا ينفرد أحد بسمات وملامح لا يشركه فيها الآخرون.

وعللوا ذلك بأن الخوارج جميعاً قد جمعتهم رؤية فكرية وفنية واحدة، فهم كافّة يتحدّثون عن الحرب والشهادة والموت والبطولة والفداء، والزهد في الدنيا، والسعي إلى عالم أرفع وأمثل، والإخلاص لعقيدة واحدة صدروا عنها، فجمعتهم بذلك المنابع الثقافية متمثلة في الدين على نحو ما فهموه، والعاطفة التي تغنّوا بها.

ومن هنا اختلط شعرهم، ونُسب بعضه إلى أكثر من واحد منهم[1]. فإن نجحت هذه الدراسة في استخراج هذا الصوت الذي نتحدَّث عنه تكون قد حقّقت شيئاً ذا بال، وإن لم تنجح فلعلها تؤدي دور تعميق بعض المفاهيم في شعر الخوارج، وإظهارها في شعر قطري بن الفجاءة خاصة الذي كان من أبرز شخصيات هذه الطائفة إن لم يكن أبرزهم قاطبة على نحو ما بيَّنَّا فيما سبق من حديث.

(١) انظر في هذه المقولة: أدب السياسة في العصر الأموي: ٢٣٦، والشعر السياسي: ٢٠٩، والعصر الإسلامي: ٣٠٦، والفرق الإسلامية في الشعر الأموي: ٤٥٥، وشعر الخوارج: ٢٢.

ظاهرة عامّة

ليس بين أيدينا من شعر قطري إلا القليل، وقد جمع له الدكتور إحسان عبّاس في كتابه (شعر الخوارج) الذي سنعتمد عليه في هذه الدراسة اثنتين وعشرين قطعة لم يزد عدد أبياتها على مئة واثنين وعشرين بيتاً. ويبدو أنه لم يُعرف لقطري ديوان، فلم نسمع أن أحداً من المتقدِّمين قد جمع شعره، وعلى الرغم من أن أبا عبيدة معمر بن المثنى كان من الخوارج، وكان من المعجبين بشعر قطريّ ويرويه ـ كما سنرى ـ ولكننا لم نسمع أنه جمع هذا الشعر. وعلى العموم فإن هذا لم يكن حظّ قطري وحده، فقد مُني شعر الخوارج جميعُه بهذا التجاهل، لا نستثني إلا الطرماح بن حكيم الذي جمع الرواة ديوانه، ترى أكان ذلك لأن الطرماح كان أكثر قرباً من الحياة السياسية والأدبية ومجتمعات الناس بصفة عامة، وأنه عاش ـ على خارجيته ـ حياة عادية يخالط ويعاشر، ويغشي الناس ويغشونه؟ أم أن ذوق الرواة كان أكثر التصاقاً بشعر الطرماح وأمثاله من أصحاب أغراض المديح والفخر والهجاء والوصف والغزل لما كان لبعض هذه الأغراض ـ أو جميعها ـ من حظوة عندهم، واعتبار في تقدير فحولة الشاعر؟ أم أنّ أسباباً سياسية وعقدية صرفت بعض الرواة عن جمع هذا الشعر أو الاشتغال به؟ أم كان شعر قطري وأمثاله من أصحابه من القلة بحيث لا يصنع ديواناً؟ قد يكون هذا أو ذاك من الاحتمالات. وعلى أننا نظن ظناً أن يكون لابن الفجاءة وغيره من الخوارج شعر أكثرُ من هذا الذي وصلنا، ولكن تراخي الزمن ـ إضافة إلى العوامل السابقة ـ قد ذهبت به.

ومهما يكن من أمر فإنّ قطرياً يأتي في المرتبة الثانية من حيث كثرة

الشعر بعد عمران بن حطان، باستثناء الطرماح بطبيعة الحال؛ فقد جمع الدكتور إحسان عباس لعمران ستين قطعة، بلغت عدّة أبياتها حوالي مئتي بيت، ثم يأتي بعدهما عبيدة بن هلال اليشكريّ، وقد جمع له تسعين بيتاً.

وقد تكون هذه القلة مسوّغة كذلك من حيث أن قطرياً وأمثاله من الخوارج - ولا سيما من خرجوا للحرب، ولم يُجيزوا القعود - لم يكونوا متفرِّغين لقول الشعر، أو مكبين عليه إكباباً شأن الشعراء الآخرين، بل كانوا منصرفين إلى الحرب والقتال، وإلى الغزو والغارة، وإلى الاستعداد والانتقال من مكان إلى مكان، ومن موقعة إلى أخرى. كان ذلك شغلهم الشاغل في ليل ونهار. إنهم فرسان محاربون، نذروا أنفسهم للحرب، وانصرفوا عن الدنيا بمن فيها وما فيها.

وأما قطري بالذات فإنه لم يكن فارساً عادياً كما عرفنا، ولكنه كان قائد الخوارج، ومدبّر أمرهم، وأمير المؤمنين فيهم. وكان قبل أن يتولّى إمرتهم مشيراً ووزيراً، ثم قادهم بضع عشرة سنة لا يستقرّ له قرار، إنه لذو أعباء جسام، ومسؤوليات كبار. وما الشعر إلا جانب - وقد يكون أيسر الجوانب - في حياة قطري، وهو ليس هدفاً في حدّ ذاته، وإنما هو موظف في خدمة المذهب، موقوف على هذه الغاية. وبسبب من هذا، ولأن قطرياً - شأنه شأن غيره من الخوارج - لم يكن محترفَ شعر ولا مشتغلاً به؛ جاء شعره مقطَّعاتٍ قصيرة. فيه أحياناً البيت أو البيتان أو الثلاثة، وأطول قطعة من شعره بلغت اثني عشر بيتاً. وما كنا - في مثل ظروف قطري - لنتخيل أصلاً أن يكون شعره أطول من ذلك، فما كان الوقت ليمكنه من الإكثار أو الإطالة.

والواقع أن هذه سمة بارزة في جميع شعر الجهاد، وشعر المعارك والفتوحات، فما كانت لدى أصحابه المنشغلين بالجهاد والحرب الفرصةُ ليطيلوه، أو يشعِّبوا في أغراضه وفنونه، بل جاء عندهم قصيراً وفي غرض واحد.

أولاً: ملامح فكرية في شعر قطري

١ ــ فروسية العقيدة:

شعر قطريّ كله في الحماسة والفروسية، وجميع الأغراض الجزئية الأخرى موظَّفة في هذا الباب الكبير. والحماسة غرض عريق في شعرنا العربيّ. وإن من يقرأ شعر قطري في الفروسية والحرب لا بدّ أن يتداعى إلى ذهنه على الفور عشرات الشعراء الفرسان والمجاهدين من أمثال عنترة بن شداد، وعامر بن الطفيل، وعمرو بن معدي كرب، ودريد بن الصمة، وعبدالله بن رواحة وغيرهم، فهؤلاء جميعاً أبطال الحرب وفرسان القتال. تجمعهم جلادة لا نظير لها، واستهتار عجيب بالموت، واندفاع لا يقف في وجهه شيء. ومن منا يقرأ مقطوعة ابن الفجاءة المشهورة:

أقول لها إذا جشأت وجاشت ... من الأبطال ويحك لن تراعي
فإنك لو سألتِ بقاءَ يومٍ ... على الأجل الذي لك لن تُطاعي (١)

وغيره من شعره في هذا القبيل، فلا يتذكر قول عنترة:

بكرت تخوِّفني الحتوف كأنني ... أصبحتُ عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتُها إن المنيةَ منهلٌ ... لا بدّ أن أُسْقى بكأسِ المنهل
فاقِني حياءَك لا أبا لك واعلمي ... أني امرؤ سأموتُ إن لم أُقتلِ (٢)

أو قوله:

وعرفتُ أن منيّتي إن تأتِني ... لا يُنْجني منها الفرار الأسرعُ

(١) حماسة البحتري: ١٠.
(٢) ديوان عنترة: ٢٥١.

فصبرتُ عارفةً لذلك حُرَّةً ترسو إذا نفسُ الجبان تطلَعُ[1]

ولا بُدّ أن يذكّر البيتُ الأول لقطري بقول عمرو بن الإطنابة:

وقولي كلما جشأتْ وجاشتْ مكانك تُحمدي أو تستريحي[2]

وإذا كان في شعره هذه الأصداء القديمة الممتدة في نُسْغِ الشعر العربيّ منذ وُجد فإن هذا لا يعني المحاكاة أو التقليد. إن للحماسة والفروسية أعرافاً ومثلاً تعاورها الفرسان جميعاً، ولكنها اصطبغت عند كلٍّ منهم بأبعاد نفسية متفرّدة، وقد أضاف الفرسان المسلمون إلى هذا القديم المتوارث قيماً جديدة استوحوها من روح الإسلام.

إن الفروسية في شعر قطري ـ شأن الفرسان المسلمين ـ تصطبغ بالروح العقدية الدينية، فلا تصبح مجرد اندفاع أرعن تحمل عليه العصبية القبلية، أو تزيِّنه المباهاة، أو يختفي وراءه حبُّ الفخر الجاهليّ. إنها عند قطري فروسية العقيدة على نحو ما آمن بها، فهي لذلك فروسية واضحة الرؤية، محدّدة الهدف. استبانت فيها غاية القتال وغاية الموت، يقول:

أقارعُ عن دار الخلودِ ولا أرى بقاءً على حال لمن ليس باقيا

إنه قراع من أجل الخلد، ولا يعدو الموت أن يكون استبدال باقٍ بفانٍ. وعندما يقول:

فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلُنا تُبيحُ من الكفارِ كلَّ حريمِ

رأتْ فتيةً باعُوا الإلهَ نفوسَهم بجناتِ عَدْنٍ عنده ونعيمِ[3]

تبدو غاية القتال عنده شديدة الوضوح. إنه قتال الكفار على رأي الخوارج، إنه بيع النّفس لله. وغاية الموت هي الجنة حيث النعيم المقيم.

---

(١) ديوان عنترة: ٢٦٤، وحماسة البحتري: ص ١٠، حيث أورد هذه الأشعار وغيرها في باب واحد.

(٢) انظر شرح شواهد المغني للبغدادي: ٤/٥١ حيث ذكر أن قطرياً أخذه من عمرو.

(٣) شِعر الخوارج: ١٢١.

فليست الحرب للفخر، ولا للصيت، ولا للمغانم. إنه ثواب الله. وحسب قطري وأمثاله من فرسان الخوارج به من غاية:

وربّ مصاليتٍ نِشَاطٍ إلى الوغى ... سِراعٍ إلى الدَّاعي كرامِ المقادمِ
أخضتُهمُ بَحْرَ الحِمَامِ وخُضْتُهُ ... رجاءَ الثوابِ لا رجاءَ المغانمِ
فأُبْنا وقد حُزْنا الثوابَ ولم نُرِدْ ... سوى ذاك غُنْماً وابتناء المكارمِ [1]

وعلى أن هذه الرؤية العقدية ليست دائماً وضَّاءة وهَّاجة، فقد يصيبها أحياناً يسيرة شيء من ضمور يوشك أن يأذن لرؤية أقل صفاء أن تُطِلّ برأسها:

إذا استلب الخوفُ الرجالَ قلوبَهم ... حَبَسْنا على الموتِ النفوسَ الغواليا
حِذَار الأحاديث التي لومُ غيِّها ... عَقَدْنَ بأعناق الرِّجال المخازيا[2]

أَحَذَرُ الأحاديث فحسب هو الذي يحمل على حبس النفوس على الموت؟ وأيّة أحاديث هذه؟ وعلى أن هذا قد يكون تأويلاً حاداً لكلام قطري، فقد يكون كلّ نكوص عن الجهاد من الأحاديث التي تعقد المخزاة في أعناق الرجال.

وإذن فقد أضاف قطريّ إلى نغمات الفروسية القديمة المتوارثة أصداء العقيدة، ونفحات الدين، فبدت الفروسية ها هنا ترسِّخ قيماً معروفة أصيلة وترفدها بقيم جديدة أكثر أصالة وعمقاً، لتصبح فروسية البصيرة، والرؤية المحدّدة الواضحة.

٢ ـ الصُّمود وشجب القعود:

وشعر قطريّ في الحماسة والفروسية شعر ثوريّ جامح عنيف، ينطلق من نفس شامخة أبية لا تعرف الهوادة أو اللّين. وهو يدور كله ـ كما ذكرنا ـ حول الفروسية والحرب، والاستبسال في المعركة، واحتقار الموت،

---

(١) شِعر الخوارج: ١٣٣.
(٢) نفسه: ١٢٥.

والزّهادة في الحياة الدنيا، ونُشدان الحياة الأخرى. هو شعر ملتزم، تحدّدت فيه الغايات والأهداف والمُثُل العليا، وراح يدوّي في ساحات المعركة، وبين صفوف المقاتلين، داعياً إلى الثبات، حاضّاً على الإقبال، شاجباً الضعف البشريّ تجاه الموت. ولقد كان قطري بن الفجاءة من أبرز شعراء الخوارج في هذا الضرب من القول؛ فقد حبس شعره عليه، ووظّفه في خدمة العقيدة؛ فراح يحبّب الخروج، ويزيّن القتال، ويشجّع على الاستشهاد، ويُقبّح حياة الذلّ، ويشجب الركون إليها. وقد بلغ من ذلك درجة سامية رفيعة، ولا سيما في مقطوعته المدويّة الذائعة التي خاطب فيها نفسه:

أقولُ لها وقد طارت شَعاعاً	من الأبطالِ: ويْحَكِ لن تُراعِي
فإنك لو سألتِ بقاءَ يومٍ	على الأجلِ الذي لكِ لن تُطَاعي
فصبراً في مجالِ الموتِ صبراً	فما نيلُ الخلودِ بِمُسْتَطاعِ
ولا ثوبُ البقاءِ بثوبِ عِزٍّ	فيُطوَى عن أخي الخَنْعِ اليراعِ
سبيلُ الموتِ غايةُ كلِّ حيٍّ	فداعيه لأهلِ الأرضِ داعِ
ومَنْ لا يُعْتَبَطْ يسأمْ ويهرمْ	وتُسْلِمْهُ المنونُ إلى انقطاعِ
وما للمرءِ خيرٌ في حياةٍ	إذا ما عُدّ من سَقَطِ المتاعِ [1]

وهي أبيات مشهورة تبدو فيها الفروسية في أوج تألقها وعنفوانها، وهي مذكورة في الحماسة في الباب الأول، وقد أوردها ابن خلّكان ثم قال في وصفها: «وهي تشجّع أجبن خلق الله. وما أعرف في هذا الباب مثلها. وما صدرت إلا عن نفس أبية، وشهامة عربية» [2].

ويقدّم قطريّ باستمرار ـ في سبيل تحبيب القتال وتقريع الجبن ـ من تجاربه الشخصية الطويلة في ميدان القتال ما ينفي الشُّبهة العالقة في أذهان الجبناء وضعفاء الإيمان من أن تجنُّب المعركة قد يُبْعد شبح الموت، أو يذوده إلى حين:

لا يركَنَنْ أحدٌ إلى الإحجامِ	يومَ الوغَى متخوِّفاً لِحِمَامِ

(١) شِعر الخوارج: ١٢٣.

(٢) وفيات الأعيان: ٤/٩٤.

فلقد أُراني للرِّماح دريئةً ... من عن يميني مرَّةً وأمامي
حتَّى خضبتُ بما تحدَّر من دمي ... أكنافَ سرجي أو عِنانَ لجامي
ثمّ انصرفتُ وقد أصبتُ ولم أُصَبْ ... جَذَعَ البصيرةِ قارحَ الإقدامِ
متعرِّضاً للموت أضربُ معلماً ... بُهْمَ الحروب مُشَهَّرَ الأعلامِ
أدعو الكماةَ إلى النِّزالِ ولا أرى ... نحرَ الكريمِ على القنا بحرامِ[1]

إنّ هذه الأبيات حِجاج عقلي متفرِّد، وهي تعرض الفكرة التي يريد الشاعر أن يدافع عنها ـ وهي تزيينُ الخروج والمواجهة ـ بأسلوب منطقيّ لا يقبل النقض. إنها تجربة عملية برز فيها قطري للموت مرات مرات، والتقى به في جميع الجهات، بل كان دريئة القوم وسترتهم، ثمّ انصرف على عكس ما يقدِّر الجبناء، قد أصاب ولم يُصَب. وهذه الصورة الرائعة ـ وإن كانت ترد في معرض الفخر الفرديّ ـ تحمل ـ في الوقت نفسه ـ هذا الحِجاج المنطقيّ في سبيل المذهب والبرهنة عليه، وقد اكتسبت تأثيرها من صدق التجربة وعمق الفكرة. لقد بدأت الدعوة خطابية في هذه الأبيات، ثم دعّمها المنطق، ورفدها الصدق.

ولا نفتأ نجد قطرياً يُؤثر الاحتكام إلى هذا الحِجاج لكي يحبِّب القراع، ويبعد عنه ـ إن صَحَّ التعبير ـ شبح الخوف من الموت الذي يمكن أن يصدّ عنه:

ولو قرَّبَ الموتَ القراعُ لقد أنَى ... لموتيَ أن يدنو لطولِ قِراعيا[2]

وبين قطريّ الفارس والنّزال ضربٌ من العشق والمودة، لأنه الرسالة التي آمن بها، ونذر نفسه من أجلها:

أغادي جلاد المعلمين كأنني ... على العسلِ الماذيّ أصبحُ غاديا
وأدعو الكُماةَ للنزالِ إذا القنا ... تحطَّم فيما بينَنا من طِعانيا

(١) شعر الخوارج: ١٢٦.
(٢) نفسه: ١٢٥.

لقد اعتاد حياة الفروسية، وألِف الفزع والخوف، فهو يجتاز وديانه آمناً مطمئناً. وسواء أكان أمنَ الثقة بالنفس، أم أمنَ الاستسلام لما لا مردّ له، أم أمن المراس والعادة الذي يشلّ الرعب ويغتال الخوف؛ يكون الموقف في الحالات جميعاً موقف الفارس الذي لا يعرف غير الجلاد. ولقد تبدو طريفة حقاً ومثيرة للأسى في الوقت نفسه تلك المقارنة التي عقدها ابن الفجاءة بين لهوه ولهو أهل الدّعة والأمن. إن لهوه (اصطلاء الوغى) وأن يخوض بحر الموت. إن جمال اللوحة الشعرية التي يرسمها في مخالفة المعهود، والتغنّي بنمط فريد:

يا ربّ ظل عقاب قد وقيتُ بها ... مُهري من الشمس والأبطالُ تجتلد
وربّ يوم حمىً أرعيتُ عِقْوتَه ... خيلي اقتصاراً وأطرافُ القنا قِصَدُ
ويوم لهوٍ لأهل الخفض ظلّ به ... لهوي اصطلاءَ الوغَى أو ناره تقِدُ[1]

٣ ــ التحريض:

ويؤدي شعر قطريّ الفروسيّ دور المحرِّض على الفعل؛ فهو يقوله تارة لإثارة قاعد مستكين؛ فقد كتب لأبي خالد القنانيّ أحد قَعَدة الخوارج معاتباً، ولكنه ألبس العتاب ثوب الدعوة إلى النّفرة، والحثّ على الخروج:

أبا خالد يا انفر فلستَ بخالدٍ ... وما جعل الرَّحمٰنُ عذراً لقاعد
أتزعمُ أن الخارجيّ على الهدى ... وأنت مقيمٌ بين لصٍّ وجاحدِ[2]

ومثل هذا ما كتب به إلى سميرة بن الجعد أحد الخوارج، وقد أصابه الضعف البشريّ، فاستكان إلى حياة الدَّعة، وصار جليساً للحجاج بن يوسف:

لشتّان ما بين ابن جعد وبيننَا ... إذا نحن رُحنا في الحديد المُظاهَرِ
نجالدُ فرسان المهلب كلّنا ... صبورٌ على وقع السيوف البواترِ
وراح ابنُ جعدِ الخيرِ نحو أميره ... أميرٍ بتقوى ربِّه غيرِ آمرِ

(١) شعر الخوارج: ١٢٤.
(٢) نفسه: ١١٩.

أبــا الجعـد أين العلمُ والحلمُ والنُّهى ... وميــراثُ آبـاءٍ كــرامِ العنــاصــر
ألم تـرَ أن الموتَ لا شـكَّ نـازلٌ ... ولا بعثَ إلّا لـلألى في المقـابــر
حُـفَـاةً عُــرَاةً والثــوابُ لــربِّـهم ... فمن بينِ ذي ربـحٍ وآخر خـاسـرِ

وهو عتاب مؤثر، ويكمن تأثيره في هذه المفارقة العجيبة بين ضربين من ضروب العيش: عيش الخوارج الذين نذروا أنفسهم للحرب والقتال، وعيش الاستكانة إلى حياة رافهة اختارها جعد وكثير من أمثاله، فسكتوا على الضيم، واستناموا إلى الذل. إنه عتاب حارّ جادّ، عتاب فارس، ولكنه ـ في الوقت نفسه ـ ودود شفيق؛ فقد بصَّره بسوء ما أقدم عليه، ودعاه أن يراجع وأن يتوب، وفتح له باب الحبّ، فصفوفهم بانتظاره، وذنبه تمسحه التوبة:

فـراجعْ أبـا جعدٍ ولا تـكُ مُغْضِياً ... على ظلمـةٍ أغْشَتْ عيونَ النَّـواظر
وتُبْ تـوبـةً تهـدي إليـك شهـادةً ... فـإنــك ذو ذنـبٍ ولستَ بكـافـرِ
وسِـرْ نحـونـا تلقَ الجهـادَ غنيمـةً ... تُفِـدْك ابتياعـاً رابحاً غيـرَ خـاسـرِ

ولقد أحدث شعر قطريّ فعلاً تأثيره، فزهَّد سميرة في الدنيا، وحرَّضه على العودة، فركب فرسه، ولحق بالأزارقة، وكتب إلى الحجاج:

فمن مبلغ الحجــاج أن سـميــرةً ... قَلَى كلَّ دينٍ غيرِ دينِ الخوارجِ [1]

وهو يؤدي هذا الدور التحريضيّ المحرِّك بشكل أوضح وأظهر في ساحة المعركة، ويكون لهذا الشعر أحياناً أكثر من دلالة، فقوله، وهو أشبه بأن يكون ارتجالاً آنياً:

ألا أيُّهــا البـاغي البــراز تَقَـرَّبَنْ ... أساقِك بـالموت الـذُّعافَ المُقَشَّبـا
فما في تساقي الموت في الحرب سُبَّةٌ ... على شـاربيه فـاسقِني منه واشْـرَبَـا [2]

يمكن أن تكون له دلالـة إثارة الـذّعر في نفس خصمـه المقاتـل، ويمكن أن تكون له دلالة إثارة الحماسة في نفوس صحبه ورجاله، ويمكن

---

(١) انظر مروج الذهب: ١٤٣/٣ ـ ١٤٥، وشعر الخوارج: ١٣٤.
(٢) شعر الخوارج: ١٢٧.

أن يكون كذلك من باب تثبيت النفس، وحملها على الاندفاع. وفي ذلك كله تحريض يجعل الشعر ذا وظيفة جهادية مهمة.

٤ ـ الذّات الفردية:

وقد تبدو الذّات الفردية متضخّمة في شعر قطريّ، وهو يدير الحديث عنها كثيراً في شعره، ويتخذ منها ـ كما لاحظ الدكتور إحسان عباس ـ محوراً لشعوره[١]. ولعلنا ـ في جماعة الخوارج خاصة ـ كنا نتوقع أن تكون الذات الفردية أكثر ضموراً؛ فقد جمعت القومَ وحدةُ الغايات والمثل، وصهرتهم روح إيمانية وحّدت رؤيتهم، وذوّبت الفوارق بينهم، وأوشكت أن تجعل صوت المجموع أكثر جهرة. ولكن قطرياً لا تفتأ تلحّ عليه ذاته، ولا يفتأ ضمير المفرد يكون التعبير الأكثر بروزاً في شعره، فهو محور الفخر، ومركز التغني بالفروسية. إنه يحبّب الموت، ويحرِّض على الجهاد، ويشجب الخوف، ويرسم صورة معبِّرة فنية لتزيين ذلك كلّه، ولكنه يديره ـ في الغالب الأعم ـ حول ذاته:

ألم يأتِها أني لعبتُ بخالد وجاوزتُ حدَّ اللعب لولا المهلبُ

ويقول ذاكراً ما كان بينه وبين المغيرة بن المهلب:

لعمري لئن كان المزونيّ فارساً لقد لقي القرمُ المزونيّ فارسا
تناولتُه بالسيف والخيلُ دونه فبادرني بالجُرْز ضرباً مخالسا
فوليتُ عنه خوفَ عودة جُرْزِهِ وولّى كما ولّيْتُ يخشى الدَّهَارِسا
كلانا يقول الناس فارس جمعه .... [٢]

وفي مُقايسة عابرة بين شعر قطريّ وشعر صاحبه ورفيق دربه عبيدة بن هلال اليشكري تبدو الجماعة أكثر غلبة في شعر هلال، وهو أشدّ ميلاً إلى

---

(١) شعر الخوارج: ٢٨.
(٢) شعر الخوارج: ١٣١.

إنكار الذات، والاحتفاء بدور الشراة كافّة، والإعلان عن هذا الصوت الجماعيّ، يقول:

لعمري لقد بعْنا الحياة وطيبَها ... برضوان ربٍّ بالخلائقِ عالمِ
غداةَ نكُرُّ المشرفيةَ فيهمُ ... بسُولافَ يوم المأزقِ المتلاحمِ
بكلِّ فتىً رخوِ النِّجاد كأنّه ... شهابٌ بدا تحت السيوفِ الصَّوارم
هُمُ أدركوا فوز الحياة وخُلْدَها ... .[1]

ويقول:

فلسنا بأنكاسٍ قصارٍ رماحُنا ... ولا نحن نخشَى وثبةَ المتوثِّب
ولسنا نقول الدهر عصمة أمرنا ... .
ولكن نقول الحكمُ لله وحدَه ... .[2]

وعلى أن احتفاء قطريّ بذاته، وتضخم هذه الذات بالمقارنة مع غيره من شعراء الخوارج، لا يعني أنه لم يتحدث بين الفينة والأخرى بلسان المجموع، ولا يعني على الإطلاق أنه غيّب دور أصحابه أو تجاهله. لقد امتزج في شعره أحياناً الفخر الفرديّ بالفخر الجماعي، واقترن الصوتان في مكان واحد:

ألم يأتها أني لعبتُ بخالد ... .
وأنا أخذنا ماله وسلاحه ... وسُقنا له نيرانَها تتلهّبُ[3]

ويقول ذاكراً بعض أصحابه مشيداً ببطولتهم وبأسهم، وهو مما كتب به إلى بشر بن مروان عندما تولّى أمر العراق:

ألا قل لبشرٍ إن بشراً مصَبِّحٌ ... بخيلٍ كأمثالِ السراحين شُزَّبِ
يقحِّمها عمرو القنا وعبيدةٌ ... مُفَدًّى خلال النَّقْع بالأم والأب
ألم ترَنا واللّهُ بالغُ أمرِهِ ... ومن غالب الأقدارَ بالشَّرِّ يُغْلَبِ[4]

---

(١) شعر الخوارج: ١٠٦.
(٢) نفسه: ١٠٨، وانظر كذلك من شعر عبيدة المقطعات: ٨٩، ٩١... وغيرها.
(٣) نفسه: ١٢٧.
(٤) نفسه: ١٢٨.

٥ ـ محطات ضعف:

ولا بدّ لمن يتحدَّث عن فروسية قطريّ أن يتلبَّث طويلاً عند موقفه من (المهلب بن أبي صفرة) ذلك أنه موقف يبعث على التساؤل، فهو يبرز كالنغمة النَّشاز في سيمفونية موسيقية منسجمة. ففي غمرة هذه الفروسية الجامحة المتدفقة التي لا تعبأ بشيء تبرز صورةٌ نقيضٌ تهزّ ألق هذه الفروسية واندفاعها. لقد أوشكت سبع مقطّعات من شعر قطريّ أن تخلص للحديث عن بطولة المهلب، وقوة بأسه، وحسن تدبيره، بل الخوف منه، بل التفكير في الهرب من أمامه، وتسويغ هذا الهرب، وعدّه مشروعاً ما دام هو الخصمَ الذي ينازلونه. وقد بدا هذا حديثاً عجباً، لأنه يمثل التخاذل والانكسار، ولأنه لا يتَّفق مع شخصية قطري التي عرفنا.

لقد حارب المهلب الخوارج سنين طويلة. تولّى حربهم منذ أيام مصعب بن الزبير عندما كان والياً لأخيه على العراق. وكان قطريَ قد خرج في أيامه، ثم أقرَّه الأمويون على حربهم طوال مدة خروجهم، باستثناء فترات قصيرة كانوا يستبدلون به غيره، ثم يرجعون إليه ثانية عندما يشتدّ أمر الخوارج، ويعظم خطرهم. وقد كان المهلب بطلاً مقداماً رمى الله به هؤلاء القوم، ولم يُمْنَوا في تاريخهم الطويل بمحارب مثله. هزمهم مرات ومرات، وطردهم من مواقعهم، وحملهم على الهرب، وانتقل قطريّ ـ فارس الأزارقة وأميرها ـ أمامه من مكان إلى مكان. وكان هذا الانتقال أحد الأسباب التي شقَّت الصفوف، وفرَّقت الكلمة، وعجلت بالنزاع.

عدّ كثير من رجال قطريّ هذا هروباً وتخاذلاً، وقيلت في ذلك أشعار كثيرة، فهذا عامر بن عمرو السعدي أحد رجاله بلغه أن ابن الفجاءة يريد الهرب، فقال له: إن قاتلتَ قاتلتُ معك، وإن هربت فأنا أبرأ إلى الله منك. فأمر به قطري فضُربت عنقه، فغضب ابن عمه حصين وقال:

أما تستحيِ يا ابن الفُجَاةِ من التي   لبستَ بها عاراً وأنت مهاجرُ
أفي كلِّ يومٍ للمهلّب أسلمتْ   له شفتاك الفمَّ والقلب طائر

أإن قال يوماً عامرٌ فضربتَه   بأبيضَ مصقولٍ، فللّهِ عامرُ
فأنت الذي لا نستطيعُ فراقَهُ   حياتُك لا نفعٌ وموتُك ضائرُ[1]

إن الانتقال في المعركة من وجه الخصم قد يكون في كثير من الأحيان فناً من فنون القتال؛ فالحرب كرّ وفرّ، ولكن الأمر جاوز ذلك بكثير في علاقة الأزارقة بالمهلب. لقد بدا المهلب همّاً يطرقهم في الصَحو والنَوم، وإن المرء ليأخذه العجب من كثرة ما ذكر الخوارج المهلب في شعرهم[2]، ولا سيما قطريّ قائدهم. لقد وقف على الحديث عن شجاعته سبع مقطّعات كما ذكرنا[3]. ولقد يبدو الحديث عن بطولة الخصم أمراً مشروعاً في عُرف الفرسان؛ فهو نوع من الإنصاف، ولذلك تسمّي العرب هذا الضرب من الشعر بالمنصِفات. وهو ـ في الوقت نفسه ـ باب من أبواب التزيد في الفروسية؛ فالصمود في وجه الأبطال لا يكون إلا من ندّ لهم، بَلْهَ الانتصارَ عليهم. كما أن مثل هذا الحديث قد يكون أحياناً من باب الصدق في التعبير وتصوير الواقع. ولكنّ صورة المهلب ـ عند الخوارج عامة، وقطريّ خاصة ـ قد جاوزت الإقرار بالشجاعة لتصير نوعاً من التخاذل والضعف، إن المهلب يبدو وحشاً مخيفاً، وإنّ قطرياً ـ الفارسَ الثوريّ الجامح ـ ليوشك أن يبدو أمامه خوَّاراً، وقد ذكره أكثر من مرّة ذكراً يوحي بهذه الصورة. فعندما عزل بشر بن مروان والي العراق المهلب عن حرب الأزارقة طمعوا في الظفر، ونزلوا الأهواز، فكتب قطريّ إلى بشر أبياتاً منها:

رجعنا إلى الأهواز والخيلُ عُكَّفٌ   على الخير ما لم ترْمِنا بالمهلب[4]

وقال يرتجز وهو يهجم على ابن معمر مقارناً بينه وبين المهلب:

لعلّ هذا طالبٌ فعالَه

---

(١) شعر الخوارج: ١١٨.

(٢) انظر مثلاً أرقام القطع التالية في شعر الخوارج: ٦٣، ٩٠، ٩٦، ٩٩، ١٠٦، ١٠٩، ١٥١، ١٥٥ وغيرها.

(٣) انظر القطع: ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩.

(٤) شعر الخوارج: ١٢٨.

لا تطمَعَنْ فيه فلن تنالَه[1]

وقال يصوِّره بالشَّجى القاتل الناشب في الحلق:

ولكن مُنينا بالمهلب إنه شجًى قاتلٌ في داخل الحلق مُنشَبُ[2]

وأتى بهذه الصورة مرة أخرى في قوله يرتجز:

إنّ شجانا في الوغى المهلبُ
ذاك الذي سِنانُه مخضَّبُ[3]

ثم يتجاوز هذا التدرجَ في الحديث عن شبح المهلب ليصرِّح بالخوف منه في قوله:

لعمري لئن كنا أُصِبْنا بنافعٍ وأمسىٰ ابنُ ماحوزٍ قتيلاً مُلَحَّبا
لقد عظمت تلك المصيبةُ فيهما وأعظمُ من هاتين خوفي المهلبا
رُمينا بشيخ يفلق الصخرَ رأيُه يراه رجالٌ حول رايته أبا
نفاكم عن الجسر المهلبُ عَنْوةً وعن صحصح الأهواز نفياً مُشَذَّبا
وأنحىٰ عليكم يومَ إربلَ نابه وكان من الأيامِ يوماً عصبصبا[4]

ولكن تخاذل قطري يبلغ مداه، إذ نجده يسوِّغ الهرب ـ وهو قائد القوم ـ من وجه المهلب، ولا ضير عليه إن فعل:

إنْ يلقَني بحدِّه المهلبُ
أصبرْ وإلاّ لم يَضِرْني المهربُ[5]

إنها محطّات ضعف في حياة الفارس العتيد، وهي لحظات انكسار بشريّ شديد، وهي تمرّ في حياة كل إنسان مهما كان شامخاً متماسكاً. ولكن تُرى أيّ أثر سيء يمكن أن يكون لها في نفوس الجند وهي تصدر

(١) شعر الخوارج: ١٣٢.
(٢) نفسه: ١٢٧.
(٣) نفسه: ١٢٨.
(٤) نفسه: ١٣٠.
(٥) نفسه: ١٢٩.

عن قائدهم القدوة؟ لقد وضّح قطريّ في بعض شعره ما لعله تسويغ لإظهار المهلب على هذه الصورة التي عدَّها بعضهم خذلاناً وخوراً، وهو يشبه ما سميناه قبل قليل ضرباً من الصدق في التعبير، أو تصوير الواقع على حقيقته؛ فقد قال ابن الفجاءة في أعقاب الأبيات السابقة التي ذكر فيها خوفه من المهلب:

فلن تهزموه بالمُنى فاصبروا له ... وقولوا لأمر الله: أهلاً ومرحبا
فما الدينُ كالدنيا ولا الطعن كالمنى ... ولا الضُرُّ كالسَّرَّا ولا الليث ثعلبا

فمن الواضح من هذين البيتين أن الإعلان عن شجاعة المهلب، وأنه شجىً قاتلٌ في الحلق، وأنه شيخ يفلق رأيه الصخر، يمكن أن يُحمل على أنه من باب التذكير بالحقيقة: حقيقة من يقاتلون، لأخذ الأهبة والحذر، واطّراح الغرور الذي يمكن أن يغشىٰ فيُعْمي، ولتفطينهم إلى واجب الصبر والثبات إن أرادوا الانتصار على هذا الشجى. وقد يؤيد أن يكون بعض ما قاله قطريّ - على الأقلّ - في (عملقة) المهلب وإظهار الخوف منه، داخلاً في مفهوم صدق التعبير عن الواقع، ردُّه على أصحابه الذين رأوا في أبياته التي ذكر فيها ما كان بينه وبين المغيرة بن المهلب:

لعمري لئن كان المزونيّ فارساً ... لقد لقي القَرْمُ المزونيّ فارسا

تزيّداً في الثناء على الرجل، ومبالغة في مدحه، على نحو ما كان مع أبيه، وقالوا له: «شدّ ما مدحت الرجلَ يا أمير المؤمنين» فقال لهم: «ما أثنيتُ عليه بشيء في دينه، ولكني ذكرت ما فيه»[1].

وعلى العموم، فمهما قدَّمنا من تفسير لكسر حدّة هذا الضعف الذي يعكسه شعر قطري في المهلب، فإن هذه الظاهرة في شعره، وشعر غيره من الخوارج، تبقى لافتة للنظر. وقد توقف الدكتور إحسان عباس عندها قبلنا، وسماها (عقدة المهلب) وشكَّك في صحة نسبة جميع هذا الشعر الذي يتحدث عن المهلب بهذه الصورة التي أشرنا إليها، وقال: «هل من

(١) انظر حاشية الصفحة: ١٣١ من شعر الخوارج.

المعقول أن يكون كلّ هذا الشعر الذي يوحي بالتخاذل أمامه، واستساغة الهرب من وجهه قد صدر عن الشعراء الخوارج؟ إنني أرى في هذا الشعر والقصص المرفق به ملحمة أزدية من عمل القصّاص، بل أعتقد أن كثيراً من صور الخذلان التي نسبت إلى الخوارج إنما هي مزوّرة عليهم. . .»[1]

وقد يكون هذا صحيحاً، فإن ما نسب إلى قطري ممّا أوردنا نماذج منه، يتناقض مع شخصية الفارس الأسطورة التي عرفناها، ويتناقض كذلك مع صورة الحماسة الفذة في مجمل شعره، ولعله مما تُزيِّد به على الخوارج، لإعلاء شأن المهلب، لا سيما وأن بذور هذا التزيد موجودة في شخصية ابن أبي صفرة حقاً، فقد كان الفارسَ البطل الذي سخّره الله تعالى ليفُلّ حدّ القوم، ويخضد شوكتهم، وكان دائماً هَمَّ الخوارج، ومبعث قلقهم.

٦ ــ صورة المرأة:

ونجد في شعر قطريّ الفروسيّ أُثَارة من غزل طفيف توجَّه به إلى المرأة، وهو يرد في معرض الفخر بانتصاره لعقيدته، والزهو بفروسيته وشجاعته. وهذه المرأة التي ذكرها في شعره مرة واحدة فحسب هي (أمّ حكيم) وقد سبق أن تحدَّثنا عن صلته بها، وقدَّرنا أن تكون امرأته أو إحدى جواريه مثلاً؛ لأنه يستهجن لطم وجهها، وما كان ليذكر ذلك إلا أن تكون له عليها دَالَّة تخوِّله ذلك. ولكنّ ما يُذكر من أن أم حكيم قد تقدّم كثيرون لخطبتها فردَّتهم يرجّح أن تكون امرأته، ولعلها قبلته بعد أن ردّت الآخرين. وعلى كلٍّ فقد كانت امرأة في حياة قطريّ، وكان يحبها، لأنها كانت من طراز فريد: جميلة، متدِّينة، شجاعة، مقاتلة. وقد تغزل بها في شعره، فذكر جمالها وهيامه بها، وأنه يحاول أن يسلوها فلا يستطيع، ولعله يريد هذا السُّلوّ لينصرف إلى ما هو أعظم من أمره:

إذا قلتُ تسلو النَّفس أو تنتهي المنى ... أبى القلبُ إلا حبَّ أمِّ حكيمِ
منعَّمةٌ صفراءُ حُلْوٌ دلالُها ... أبيتُ بها بعد الهُدُوِّ أهيمُ

---

(١) شعر الخوارج: ٢٧.

قطوفُ الخُطا محطوطةُ المتن زانها مع الحُسْن خَلْقٌ في الجمالِ عميمُ[1]

ولعل هذه الأبيات جزء من المقطوعة الأخرى التي ذكر فيها أم حكيم عرضاً، ثم راح يفتخر أمامها ببطولته في معركة (دولاب) ويطيل في هذا الفخر:

لعمرُك إني في الحياة لزاهدٌ وفي العيش ما لم ألقَ أمَّ حكيم
من الخفِرات البيض لم يُرَ مثلُها شفاءً لذي بثٍّ ولا لسقيم
لعمرك إني يوم ألطم وجهها على نائبات الدهر جدّ لئيمِ
ولو شهدتني يوم دولاب .... [2]

ومن الواضح أن صورة المرأة تمتزج بالفروسية على طريقة الشعراء الفرسان، وتبدو غاية من الغايات أو حافزاً من الحوافز التي تشعل جذوتها.

وفي مقارنة عابرة بين شاعرين من شعراء الخوارج في موضوع المرأة هما: عمران بن حطّان وقطريّ بن الفجاءة يبدوان ملتقيين في جانب، ومفترقين في جانب آخر. يلتقيان من حيث وجود المرأة في حياة كلٍّ منهما، ومن حيث أن هذه المرأة تحبِّب إليهما الحياة؛ فلولا أمّ حكيم لكان قطريّ زاهداً في الحياة. وأما (جمرة) امرأة عمران التي عشقها، وهام بها حباً، فإنها تبدو من بعض الأسباب التي حملته على التعلّق بالحياة إلى درجة القعود عن الجهاد، والخروج مع من خرج. ولكنّ (أم حكيمٍ) قطري ليست كذلك. إن حبّه لها ليس حباً سلبياً يحمله على مثل ما حمل عمران من ضعف. إنه ليس حبَّ الخنوع والاستكانة، فهو لا يوّرثه انكساراً أو خوراً. وهو لا يستجيب له على نحو ما استجاب الخارجي عيسى بن فاتك الخطي الذي تعلق به بناته فأقعده حبّهنّ عن الخروج. وقال:

لقد زاد الحياة إليّ حباً بناتي إنهنّ من الضِّعافِ
مخافةَ أن يَرَيْن الفقرَ بعدي وأن يشْرَبْن رنْقاً بعد صافِ

(١) شعر الخوارج: ١١٨.
(٢) نفسه: ١٢٠.

فلولا ذاك قد سوّمتُ مُهري وفي الرحمٰن للضعفاء كافِ[1]

ولكن حبَّ قطري أمَّ حكيم يحمله على الاستبسال، ويشعل فيه جذوة العزيمة، ولعلّ حبه للحياة من أجلها يورّثه إيجابية، فيحمله على الدفاع عن القيم الفاضلة التي تجعلها أرقى وأنبل. إن (أم حكيم) في حياة قطري ـ شأن كثير من النساء في حياة الشعراء الفرسان ـ حافز على البطولة، ومحرِّك للشجاعة، ويمكن أن يكون استرضاؤها، والسمو أمامها، طموحاً عظيماً يسعى إليه الشاعر ليكون جديراً بها. ولكن واحداً مثل قطريّ لا يمكن أن يكون الفوز بهذا الرضى على مثل هذه الأهمية التي يمكن أن يكونها عند الآخرين.

إن قطرياً مقاتل صاحب عقيدة آمن بها بعمق، وخرج من أجلها، وراح يستهين بالموت بل يعشقه من أجلها، والمرأة قد تكون عاملاً من عوامل الحماسة لهذا الاندفاع، وخطاً في الصورة العامة، ولكن مجمل الصورة ذو أبعاد فكرية وعقدية أعمق من ذلك بكثير. فالقتال عند قطري مبدأ وعقيدة، وهو دين، لا يحلّ القعود عنه، أو الجبن فيه.

وهكذا فإن الغزل في شعر قطري ـ إن صَحّ تسمية ما قاله في أم حكيم غزلاً ـ قد داخلته العقيدة، وصار جزءاً من موقف فكري أعمق وأبعد.

٧ ـ صورة الموت:

والموت جزء من صورة الفروسية في شعر قطري. وقد أكثر من ذكره واستحضاره، فاصطبغ شعره بنغمة رومانسية حزينة ولكنها غير يائسة. وقد أسرف الخوارج جميعاً في عشق الموت إن صحّ هذا التعبير، ولا سيما حين يكون في ميدان القتال، فكان الأمر عندهم وجهاً معكوساً لما اعتاد عليه الآخرون. وهذا ما عبر عنه البهلول بن بشر الشيباني حين قال:

من كان يكرهُ أن يلقىٰ منيَّتَه فالموتُ أشهَى إلى قلبي من العسلِ[2]

---

(١) شعر الخوارج ٧١.

(٢) نفسه: ٢١٩.

وهذا ما عبر عنه قطريّ كذلك في قوله:

أغادي جلاد المعلمين كأنني ... على العسل الماذيّ أصبحُ غاديا

إنها صورة واحدة لعشق الموت، فهو أشهى إلى النفس من العسل.

والموت هو الحقيقة المطلقة التي لا نزاع فيها ولا جدال في أمرها.

وقد يكون في التسليم بهذه الحقيقة، واستحضارها باستمرار، ما يكسر حدّة الخوف منه. يقول قطريّ:

ألم ترَ أن الموتَ لا شكَّ نازلٌ ... ولا بعثَ إلا للألى في المقابر

ويقول:

سبيلُ الموت غايةُ كلِّ حيٍّ ... فداعيه لأهل الأرض داعِ

والحياة ـ مهما طالت ـ قصيرة قصيرة:

فإن الذي قد نلتَ يفنَى وإنما ... حياتُك في الدنيا كوقعةِ طائرِ[1]

وهو طريق الخلاص من عسف الحياة وقسوتها وظلمها. ولعله وسيلة الانتصار عليها، فلولاه لأدرك الإنسانَ الهرمُ والسأم، فغدا عيشه يائساً ذليلاً:

ومن لا يُعْتَبَطْ يسأمْ ويهرمْ ... وتُسْلِمْه المنونُ إلى انقطاع

وقد يكون انتصار الإنسان المسحوق فيه أكبر وأوضح:

وما للمرء خيرٌ في حياةٍ ... إذا ما عُدَّ من سَقَط المتَاعِ

وبسبب استحضار هذا المفهوم نجد ابن الفجاءة يسمّي الموت راحة. ولا سيما عند طائفة تتوهم أنها على الحقّ المطلق، وهي تسمية تذكّر بالدعاء المأثور: «اللهم اجعل الحياة زيادة لنا من كلِّ خير، والموت راحة لنا من كلِّ شرّ» ونراه يستسلم له هذا الاستسلام الوادع الحزين في قوله:

أقول لنفسي حين طال حصارُها ... وفارقها للحادثات نصيرُها

---

(١) شعر الخوارج: ١٣٤.

لـك الخيرُ مـوتي إن في الخيـر راحـةً فيـأتي عليها حينُهـا ما يضيـرهـا
فلو أنهـا تـرجـو الحيـاةَ عــذرتُها ولكنهـا للموت يُحْـدَى بعيـرُهـا[1]

وقد يسميه أحياناً (أمر الله):

فلن تهـزموه بـالمنى فاصبـروا لـه وقـولـوا لأمـر الله: أهـلاً ومـرحبـا

ولكن المـوت المَثَل عنـد قطريّ وأصحـابـه من الشـراة هـو مـوت الشهادة؛ فهو الذي يعني هذا الخلاص الحقيقي، وهو الذي يعني الانتصار الرائع على الحياة، لأنه يمثّل مغادرة الفانية إلى الباقية، فهو عندئذٍ الربح الحقيقي. يقـول قطريّ في أبيـاته التي كتب بهـا إلى سميـرة بن الجعـد يحرِّضه على مفارقة الحجاج:

وسـر نحـونـا تلقَ الجهـاد غنيمــةً تُفِـدك ابتياعـاً رابحاً غيـرَ خـاسـرِ
هي الغاية القصوى الرغيبُ ثوابُها إذا نال في الدنيا الغنى كلُّ تاجرِ

ولذلك نجد هذا الحرصَ على الموت المثل، وعدَّه الغايةَ الكبرى، فهو قِلادة شرف. ولكن هذا الحرص لا يتحقَّق إلا بالزهادة في الحيـاة، فمن لم ينْبِذها وراءه ظهرياً لَم يذق هذا الشوق، ولم يعرف حلاوة هذا الحرص، ولنسمع قطرياً يستبطىء الطريق إلى هذه الغاية المثلى:

حـتـى مـتـى تُـخـطئنـي الـشـهـادهْ
والـمـوتُ فـي أعـنـاقـنـا قِـلادهْ
لـيس الـفـرارُ فـي الـوغـى بـعـادهْ
يـا ربّ زِدْنـي فـي الـتّـقـى عـبـادهْ
وفـي الـحـيـاة بـعـدهـا زهـادهْ[2]

وصـورة استبطاء المـوت، والإحساس بـالملل لتأخـره، والسـأم من

(١) شعر الخوارج: ١٣٣.
(٢) نفسه: ١٣٠.

الحياة، قيمة ثابتة في شعر الخوارج، ولا نفتأ نجد إلحاحاً عليها، يقول قطريّ:

إلى كم تغاريني السيوف ولا أرى   مُغَاراتِها تدعو إليّ حماميا[1]

ويقول الحويرث الراسبيّ:

أقولُ لنفسي في الخلاء ألومُها   هُبلتِ دعيني قد مَلِلْتُ من العمر
ومن عيشةٍ لا خيرَ فيها دنيّةٍ   مذمَّمةٍ عند الكرام ذوي الصبر[2]

وإذا كان موت الشهادة شرفاً فإنه لا يُقابل بالبكاء والتفجُّع كما يقابل الآخرون موتاهم، يقول قطري:

هنالك لا تبكي عجوزٌ على ابنها   فأبشرْ بجَدْعٍ للأنوف مُوَعَّب[3]

وهذا فرق ما بين الخوارج وغيرهم. إن الخوارج لا يرثون موتاهم على نحو الرِّثاء المعهود، بإظهار التفجّع والأسى لموتهم. وكيف يحدث ذلك وهم حِراص على هذا الموت، ويغبطون من سبقهم إليه؟ يقول مرداس بن أدية:

فيا ربّ سلّم نيّتي وبصيرتي   وهبْ لي التُّقَى حتى أُلاقي أولئكا[4]

وعلى أنّ قطرياً ـ وهو يشتاق إلى هذه الميتة، ويراها المثل الأرفع ـ مسلّم بعد ذلك بقدر الله، فهو الذي يتوفّى الأنفس كيف يشاء، فإن قدّر له أن يموت على فراشه بلا قتل ولا ضرب لم يشعر بالكمد، ولا بخع نفسه بالعتاب، فهو لم يقصّر في نُشدان الشهادة والسعي إليها، ولكن الله يفعل ما يشاء:

فإن أَمُتْ حَتْفَ أنفي لا أَمُتْ كمداً   على الطِّعان، وقصر العاجز الكمدُ
ولم أقل لم أساقِ الموتَ شاربَه   في كأسه، والمنايا شُرَّعٌ وُرُدُ[5]

(١) شعر الخوارج: ١٢٥.
(٢) نفسه: ١٩٥.
(٣) نفسه: ١٢٨.
(٤) نفسه: ٦٣.
(٥) نفسه: ١٢٤.

وقد أوضحنا في غير هذا الموضع أن ابن الفجاءة يتكىء على حقيقة (أن الموت يقع في حينه المقدّر غيرَ مُسْتَقْدِم ولا مُسْتَأْخِر) ليتخذ منها حجاجاً عقلياً يناظر به في مجموعة من المواطن:

ـ موطن تثبيت النفس وتسكين روعها إن جاشت وأمسكت بها رهبة الموت.

ـ في موطن تشجيع المقاتلين وطمأنتهم وحملهم على الاندفاع.

ـ وفي موطن الاحتجاج على القاعدين الخائفين:

ولستَ ترى نفساً تموتُ وإن دنتْ   من الموت حتى يبعثَ اللَّهُ داعيا(1)

وهذه المفاهيم عن الموت شائعة في شعر الفرسان منذ الجاهلية، ولكنها أخذت طابعاً عقدياً عند قطري وأمثاله من شعراء الإسلام.

وعلى العموم فقد كان قطري ـ شأنه شأن الخوارج ـ زاهداً في الحياة، يعرف أن برقها خُلّب. وقد حمل روحه على كفه، وراح يستقبل الموت في كلّ ناحية، رابط الجأش، قويّ الشكيمة، يخاطب نفسه كلما أوشكت أن تضعف:

يا نفسُ لا يُلْهِيَنَّك الأملُ   فربما أكذبَ المنى الأجلُ(2)

وتبدو أم حكيم نفحة طيبة، وبسمة دافئة في وعثاء الطريق، تحبِّب إليه الحياة، ولكنه ـ كما سبق أن أشرنا ـ لم يكن حباً سلبياً، فلم يصرفه هذا الحب عن عشق الموت، ولم ينفِ عنه صفة الزهد، ولم يحمله على النكوص إلى الوراء أو الارتماء في أحضان الضعف.

وفي مقارنة عابرة بين موقف ابن الفجاءة من الموت، وموقف الخارجي الآخر (عمران بن حطان) يبدو عمران أكثر تفلسفاً وتعمقاً وغوصاً

(1) شعر الخوارج: ١٢٥.
(2) نفسه: ١٢٧.

في حديث الموت والحياة، وهو أكثر شفافية وأسىٰ، ولكنه أكثر تعلقاً بالحياة من قطري:

إذا ما تذكرت الحياة وطيبَها ... إليّ جرى دمعٌ من العين غاسقُ[1]

ولكنه ـ على هذا التعلّق ـ يبدو أكثر استحضاراً لصورة الموت من صاحبه قطريّ. إن (جمرة) أحد أسباب هذا التعلّق، ولكن جمرة أحد أسباب هذا الاستحضار في الوقت نفسه؛ فهو كلما أوغل في حبها، وأوشك أن يستمتع بهذا الحب؛ نغّص عليه ذكر الموت هذه المتعة. إن النقيضين يعيشان مصطرعين في نفس عمران: الحياة ـ متمثّلةً في جمرة ـ والموت الذي لا يكفّ عن زيارة خواطره، وهو يلتفت إلى هذه الحبيبة محاولاً أن يعزيها بالحقيقة المعروفة الذي يذكرها قطريّ وغيره، وهي أن الموت قدر لا مهربَ منه، ولا بُدّ يوماً أن يفرِّق بينهما، ولكنه في حقيقة الأمر يعزِّي نفسه:

يا جمرَ يا جمرَ لا يطمحْ بك الأملُ ... فقد يُكذِّب ظن الآمل الأملُ
يا جمرَ كيف يذوق الخَفْضَ مُعْتَرِفٌ ... بالموت والموتُ فيما بعده جللُ
كيف أواسيك والأيامُ مُقْبِلَةٌ ... فيها لكلِّ امرىء عن غيرِهِ شُغُلُ[2]

(١) شعر الخوارج: ١٦٣.
(٢) نفسه: ١٦٧.

ثانياً: ملامح فنية في شعر قطريّ

١ ــ الالتـزام العقـدي:

يمثل شعر قطريّ ـ شأنـه شأن شعـر الخوارج جميعـاً ـ تعانق الفن بالعقيدة؛ فنحن فيه أمام شعر هادفٍ ملتزم؛ فقد أخلص صاحبه لمبادىء وأهداف آمن بها، وجنّد شعره ـ كما كان يجنّد سيفه ـ للدفاع عنها وإعلانها حارة صادقة متدفّقة. وقليلةٌ هي نماذج هذا الضرب من الفنّ في شعـرنا القديم؛ فلم يكن الالتزام بهذا الشكل الحار العميق سمة بارزة عند عدد كبيـر من الشعراء العـرب. لقد عـرف أدبنا القـديم طوائف من الشعـراء أصحاب الاتجاهات العقدية المختلفة، ولكن أشدّ هذه الطوائف إخلاصاً فنياً لعقيدتهم ـ في تصوّرنا ـ هم الخوارج. لم يداخل شعرهم ما يخدش هذا الالتزام الصادق إلا في القليل النادر. لم يمدحوا أحداً، ولم يتكسَّبوا، ولم يتمسّحوا بأعتاب السُلطة، ولم يفخروا بقيم جاهلية، كما أنهم لم يقفوا على الحياد يتفرّجون على الأحداث من مكان بعيد، وإنما كانت الكلمة عندهم مسؤولية وأمانة، ولعلهم أحسّوا أن صاحبها محاسب على ما يقول وعلى ما لا يقول؛ فتأييد الباطل ـ على نحو ما تخيلوه ـ مثل السكوت عليه.

شعر قطري إذن هو شعر عقديّ هادف. وهذه العقيدة هي الدين. وإذا كان الخوارج عامة ـ والأزارقة خاصة ـ قد غلوا وأسرفوا وابتدعوا في تصوّر الإسلام على نحو ما رأينا، حتى تخيلوا ـ باطلاً ـ أن هذا الإسلام لا يوجد إلا بين صفوفهم، وأنّ كلّ ما عداهم من الأمـة ضالّ كـافر، حتى سحبوا هذه التصوّر على إخوانهم الذين أجازوا القعود؛ فإن هذا التطرُّف الحاد لا يعكسه شعرهم إلا في النادر القليل. لقد مثّل شعرهم الخطوط

الإسلامية الكبرى التي لا خلاف عليها بين المسلمين كافة، كالدعوة إلى الجهاد، ومقارعة الظلم، والاستهانة بالموت في سبيل نشر الحق والدفاع عنه، والزهد بالحياة، والنظر إليها على أنها فانية زائلة، والنظر إلى الآخرة على أنها الحياة السرمدية الحقيقية، وعشق الشهادة، ورسم الصورة المثالية لما ينبغي أن يكون عليه المؤمن من تقوى وعبادة، وتهجد وزهادة، وغير ذلك من المسائل والأمور. ولم يحمل هذا الشعر ـ كما حمل سلوكهم ومواقفهم العملية ـ الكثير من الغلو والإسراف غير المقبولين. وبذلك بقي نسيج هذا الشعر ـ في عظم نماذجه ـ خالصاً، وظلت الرؤية العقدية فيه واضحة مقبولة.

طفا على سطح هذا الشعر ـ في النادر كما ذكرنا ـ تطرف ذميم، كتسمية المسلمين المخالفين لهم في الرأي كفاراً، على نحو قول قطري:

فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلُنا ... تبيح من الكفار كلَّ حريم

أو قول سميرة بن الجعد في قصيدته التي تركها للحجاج، ولحق بالأزارقة بعد أن وصله عتاب قطريّ:

رأى الناسَ إلا مَنْ رأى مثلَ رأيه ... ملاعيين ترّاكين قصدَ المناهجِ (1)

وتسميتهم الخروجَ على سلطان المسلمين ـ الذي خالفوه في الرأي ـ جهاداً، أو الإسراف المبالغ فيه في عشق الموت، ولكن ذلك لم يعكّر ـ في رأينا ـ مجمل لوحة هذا الشعر التي بقيت تغترف من معين إسلاميّ. وإذا استطعنا أن نحمل ما ورد في أشعارهم من أمثال هذه العبارات على عموم اللفظ، ولم نخصّها بقوم معيَّنين، بدا هذا الشعر أكثر خلوصاً من الشوائب، وأقرب إلى الرؤية الإسلامية.

---

(1) شعر الخوارج: ١٣٦.

٢ ـ قوة الشعر وحرارته:

شعر قطريّ إذن هو شعر العقيدة، وهو من هذه الطائفة من الشعراء الذين كان الدين محضن شعرهم، ولم يُحدث هذا الالتزام بقيم الحق والدّين والخير ضعفاً أو ركّة في هذا الشعر على نحو ما كان يَحْدِس بذلك الأصمعي عندما قال: «الشّعر نكِد بابه الشر، فإذا دخل في الخير ضَعُفَ..»[1]. إن شعر قطريّ وكثيراً من شعر أصحابه وغيرهم يتنكب لهذه المقولة وما كان على شاكلتها ممّا يحاول فصل العقيدة عن الفنّ تحت مظلّة الخوف من السّقوط في الضعف. ولعلّ الأظهر أن إخلاص الفنان لعقيدته، والتصاقه بها التصاقاً حميماً هو عامل مهمّ من عوامل صدق التجربة الشعورية ونضجها وتوهج حرارتها. وهكذا بدا شعر قطري قوياً متدفقاً حاراً، تلفحك ناره، ويصيبك وهجه، ويخلص إليك منه صدق طاغٍ، يجعلك تنفعل برؤية الشاعر، وصفاء التجربة التي يريد عرضها. لقد ترك قطريّ ـ وكثير من أمثاله الخوارج ـ شعرهم ينساب بتلقائيّة عجيبة، وعفويّة آسرة، حاملاً مشاعرهم بصدق، من دون تمويه أو تزييف أو مبالغة.

وهو شعر قويّ، قوّة نفس صاحبه، لا تحسّ فيه بهوادة ولا رخاوة، ولكنّك تحسّ أنّك أمام صلابة عاتية، وشموخ طاغٍ، وتبدو الأدوات الفنية جميعها متعاونة على إظهار هذه القوة: إيقاع الألفاظ وجرسها، الصورة الشعرية، وحدة القصيدة، وترابط الألفاظ والعبارات في سياق مؤتلف. ولكن على الرّغم من أن هذا الشعر قويّ صلب عنيد إلا أنه كذلك ـ إن صحّ التعبير ـ شجٍ حزين ودود، يقتحم ـ على عنفه ـ القلب، ويلج إلى الضمير، فتشعر بالتعاطف مع صاحبه، وتحسّ أنك تحنو عليه، وترأف به.

وإذا كانت أصوات شعراء الخوارج متشابهة، وأنغامهم متكرّرة مألوفة كما أشار إلى ذلك المحدثون الذين درسوا هذا الشعر، فإن أبرز ما يميّز قطرياً هو هذا الشّموخ الّذي نتحدَّث عنه. إنه ـ في تصوّري ـ أوضح

---

(١) انظر الشعر والشعراء: ٣٠٥.

الخوارج فروسية، وأنداهم صوتاً في الحماسة والبطولة والاستهانة بالصِّعاب. وإذا كان من معايير الشعر المعتبر شدّة التطابق بينه وبين صاحبه، حتى إنك لتعرف شخصية صاحبه منه على رأي أصحاب الاتجاه النفسي في دراسة الأدب؛ فإن هذه المقولة تبدو منطبقة على ابن الفجاءة. إنه شعر مجالد عنيد، ومقاتل فارس، وقائد سياسيّ مسؤول. ولولا لحظات الضعف النفسي التي تمثّلت فيما ظهر منه من موقف متخاذل أمام المهلب ابن أبي صفرة على نحو ما سبق أن بيَّنَّا، لخلص له هذا التطابق الذي نتحدَّث عنه. وعلى أنه قد وجدنا من يشكِّك في نسبة صحة بعض هذا الشعر أو كلّه إلى أصحابه، وقد يدّعم هذا الشّك ـ في شعر قطري على الأقل ـ هذا التطابق الذي نتحدث عنه.

٣ ـ نضج الأدوات الفنية:

إن التصاق الفنّ بالعقيدة قد ورّث هذا الشّعر إذن الحرارة والقوة والتدفق. وإن الأدوات الفنية فيه لتبدو مستوية ناضجة قد أخذت حظاً غير يسير من الاكتمال والألق. إنه شعر منساب بعذوبة وسهولة، وفيه بساطة وعفوية، ولكنّ فيه إلى جانب ذلك جزالة ومتانة، وخبرة فنّية متقنة. تبدو على شكل قدرة على انتقاء الألفاظ والعبارات بشكل دقيق معبّر غنيّ بالدّلالات[1]. لقد كان لدى قطريّ ملكة شعرية متدفقة، وهو ذو طبع فياض، ومقدرة مؤاتية على القول، وقد رفد هذا كلّه التجربةُ الشعورية الحارة الصادقة فجاءت وسائل التعبير على غير قليل من النّضج والاستواء.

وإذا كانت الصورة الشعرية مهمة في التعبير الفنيّ الراقيّ فإننا نجدها في شعر قطريّ بارزة بوضوح، وهي وسيلة تعبيرية متميّزة عنده. وهي ترد عنده عفوية غير متكلّفة مما يدلّ على قوة الملكة الفنية. يقول في الدنيا:

فإن الذي قد نلتَ يفنى وإنما ... حياتُك في الدنيا كوقعةِ طائرِ

---

(١) انظر وفرة الدلالات في بعض شعر قطري في شرح الحماسة للتبريزي: ١/٦٨، ٢/١١٠، والوساطة: ٢٥٨، وشرح شواهد المغني للبغدادي: ٣/٣١١.

فهي صورة مؤثرة تعبّر عن سرعة الزوال، وقد صدرت بشكل تلقائي حار. ويقول راسماً مفارقة ترسّخ الفكرة، وتحمل على الإقناع:

فما الدين كالدنيا ولا الطعنُ كالمنى ... ولا الضُّرُّ كالسَّرا، ولا الليثُ ثعلبا

وقطريّ كغيره من شعراء العربية لا يلجأ إلى الصورة دوماً، بل يمزج في شعره التعبير المباشر بالأسلوب الخياليّ. وعلى الرغم من أن قطرياً لم يكن يُعِدّ الشعر في فسحة من الوقت بسبب ظروفه كما عرفنا، ولعل بعضه كان يُرتجل ارتجالاً، إلا أن حظّ التعبير المجازي، والأسلوب التصويري، لم يكن قليلاً كما ذكرنا. وشعر ابن الفجاءة حافل بتعبيرات مجازية مؤثرة. يقول في المغيرة بن المهلب:

يقولوا بَلاَ منه المغيرةُ ضربةً ... فأصبحتَ منها للغضاضة لابسا

فتى لا يزال الدهرَ سنّةُ رمحِهِ ... إذا قيل: هل من فارسٍ؟ أن يُدَاعِسَا[1]

ويقول في المهلب:

رمينا بشيخ يفلق الصخرَ رأيُه ... يراه رجالٌ حول رايته أبا

وأنحَىْ عليكم يوم إربل نابُه ... وكان من الأيام يوماً عصبصبا

ويقول مفتخراً بفروسيته راسماً هذه الصورة القوية:

وقد كنت أوفي للمهلب صاعَه ... ويشجَىْ بنا والخيلُ تُثِنى نحورُها

إذا ما أتت خيلٌ لخيل لقيتُها ... بأقرانها أُسْداً تدانَى زئيرُها[2]

ومن الصور الشعرية التي نالت إعجاب المتقدِّمين قوله:

فلقد أراني للرِّماح دريئة ... من عن يميني تارة وأمامي

حتى خَضبتُ بما تحدَّر من دمي ... أكنافَ سرجي أو عنانَ لجامي

ثم انصرفتُ وقد أصبتُ ولم أُصَبْ ... جَذَعَ البصيرةِ قارحَ الإقدام

فقد رسم في هذه الأبيات مجموعة من الصور الرائعة؛ ففي البيت

---

(١) شعر الخوارج: ١٣١.

(٢) نفسه: ١٣٣.

الأول صورة لشجاعة القائد، وتعاطفه مع جنده، وإيثارهم على نفسه، فهو أول من يستقبل الطعن. إنه دريئة القوم. وقد رويت الكلمة في البيت بدون همز (دريّة) وهي عندئذٍ الناقة التي يستتر بها الصائد من الصيد. وعلى هذا التوجيه تبقى الصورة تحمل كذلك دلالة الحماية والتضحية، فهو سُترة يحميهم من الطعن كما تكون الناقة سترة للصّائد. ورسم في البيت الثالث صورة معبِّرة لبصيرته وإقدامه، فجعل بصيرته كالمهر الجَذَع، وهو المدرّب المروّض الذي بلغ حولين في الخبرة والمراس فصار مستغنياً عن الرياضة لكماله، وجعل إقدامه كالفرس القارح، وهو الذي بلغ النهاية. فهو الحكيم الذي اكتملت فيه التجربة والحكمة والاستبصار بسبب الدربة الطويلة، وهو في إقدامه قد بلغ النهاية التي لا مزيد عليها. إنها صورة معبّرة للقائد الذي جمع بين الحكمة والشجاعة[1].

وقد تشتد وطأة الانفعال فتتدفق الصور في شعر قطريّ بتلقائية، ولكن باقتدار ومهارة. وانظر إلى هذه المقطوعة التي عبّر بها عن تجربة له في ساحة المعركة لترى كيف تعانقت فيها مجموعة من الصور الجزئية الدقيقة لترسم بعد ذلك مشهداً رائعاً عبّر عن هول المعركة، وشدة وطأتها، وبالتالي فروسية من يخوض غمارها:

يا ربّ ظلّ عُقاب قد وقيتُ بها ... مُهري من الشمسِ والأبطالُ تجتلدُ
وربّ يوم حمى أرعيتُ عِقْوَتَه ... خيلي اقتصاراً وأطرافُ القنا قِصَدُ
ويوم لهو لأهل الخفضِ ظلّ به ... لهوي اصطلاءَ الوغَى أو ناره تَقِدُ
مشهّراً موقفي والحربُ كاشفةٌ ... عنها القناع وبحرُ الموت يطّردُ
وربّ هاجرةٍ تغلي مراجلُها ... مخرتُها بمطايا غارةٍ تخِدُ
تجتابُ أوديةَ الأفزاعِ آمنةً ... كأنها أُسُدٌ تقتادُها أُسُدُ

وحسبنا هذا القدر من الحديث عن الصورة في شعر قطري، فالحق

---

(١) ذكرت لهذه الصورة توجيهات أخرى، انظر منهاج البلغاء: ١٨١ - ١٨٢، والوساطة: ٢٨٥، وهي تؤكد فكرة تعدد الدلالات التي أشرنا إليها.

أن شعره قد حفل بها. وكانت في كثير من الأحيان معبّرة صادقة، وتلقائية متدفقة، وهي تدل على نضج الأداة التعبيرية في هـذا الشعر. وقـد كان واضحاً من خلال هذه النماذج التي عرضناها أن مادة هذه الصور مستمدة من البيئة التي تحيط بالشاعر. فابن الفجاءة بدويّ أعرابي، ومن هذه البيئة الصحراوية، ومن مشاهد البادية حوله استمد كثيراً من المشاهد والمرئيات، ثمّ راح يشكّل هذه المادة التصويرية تشكيلات تختلف وتتفّق بحسب الجو النفسي الذي يعانيه.

وقد يرتبط بالصورة **وحدة القصيدة**. فالحق أن ممّا يميِّز شعر قطريّ ترابط النموذج الشعريّ الذي يقدِّمه، وقيامه على وحدة فنية واضحة. إن الترابط والتسلسل يبدوان في كثير من شعره، حتى لتشكِّل بعض مقطوعاته لوحة متكاملة، أو مشهداً كبيراً. انظر في مقطوعته المشهورة:

أقـول لهـا وقــد طـارت شعـاعـاً ....

تشعر بهذا التـرابط، حتى لتبدو الأبيـات صورة واحـدة متماسكـة، بحيث يرتبط كلّ بيت بما قبله وما بعده ارتباطاً وثيقاً يصعب معه تقديم بيت أو تأخيره عن مكانه. ولا شك أن شعر المقطعات أقدر على توفيـر هذه الظاهرة من القصائد الطوال. إن الأبيات ها هنا في غرض واحد، ينتظمها خيط شعوري واحد، وهي تعبّر عن لحظة انفعـال حاسمـة، وهي لحظة قصيرة متدفّقة لا يعتريها انقطاع.

وانظر كذلك في أبياتـه الشجية المؤثـرة التي قالهـا يعبر عن حـزنه لتشتت كلمة الأزارقة، وتبدّد جمعهم بعد الصفاء والمودة:

أقـول لنفس حين طال حصـارُهـا   وفـارقهـا للحـادثـات نصيـرُهـا[1]

تجـد هذه الـوحدة الفنيـة التي نتحدَّث عنهـا. إن الأبيـات تتـدفّق وتتسلسل تسلسلاً طبيعاً حاراً، من دون تـوقف أو انقطاع، ينتـظمها خيط شعوري واحد يجعلها تبدو كاللوحة المتناسقة.

---

(١) شعر الخوارج: ١٣٢.

٤ ـ رأي القدماء في شاعريّة قطريّ:

لم نجد فيما اطلعنا عليه من مصادر أحكاماً نقدية كثيرة للقدماء على شاعرية قطري بن الفجاءة. ويبدو أن شهرته السياسية، وشهرته في ميدان الفروسية والحرب قد غلبتا على شهرته الأدبية. ولذلك قال بروكلمان: «كان قطريّ بن الفجاءة زعيماً سياسياً أشهر منه شاعراً»[١] ولكن كثيراً من مصنفات الشعر، ومختارات الأدب، قد أوردت أشعاره، ولا سيما ما كان منها في باب الحماسة والفروسية.

ـ ومما بين أيدينا من أحكام القدماء على شاعرية قطريّ رأي أبي عبيدة معمر بن المثنى، وقد كان يرى رأي الخوارج، ويبدو أنه كان على مذهب الإباضية منهم[٢]. وقد ألّف كتاباً عن خوارج البحرين واليمامة[٣] ولعلّ إعجابه بشعر الخوارج عامّة، وشعر قطريّ خاصّة، نابعٌ من هذا الاتفاق المذهبيّ. ولعلنا كنا نتوقع منه أن يجمع شعر بعض شعرائهم ولكنه لم يفعل بحسب علمنا. ويبدو أنه كان يخشى إظهار خارجيته، كما كان يخشى أن يُذاع عنه رواية لشعر الخوارج. قال التوّزي: «كنت إذا أردت أن أنشِّط أبا عبيدة سألته عن أخبار الخوارج، فأبعج منه ثَبَج بحر، فجئته يوماً وقد أطرق ينكُتُ الأرض في صحن المسجد. . فسلّمت عليه فلم يردّ، فتمثّلت:

وما للمرء خيرٌ في حياة إذا ما عُدّ من سَقَط المتاع

فنظر إليّ وقال: ويحك، أتدري من يقوله؟ قلت: قطريّ. فقال: اسكت، رضَّ الله فاك، فألّا قلت: أمير المؤمنين أبو نعامة. ثم انتبه فقال: اكتمها عليّ يا توّزيّ. فقلت: هي ابنة الأرض، فأنشدني:

أقول لها إذا جاشت حياء من الأبطال ويحك لن تراعي

---

(١) تاريخ الأدب العربيّ (الترجمة العربية): ١/٢٣٣.

(٢) انظر البيان والتبيين: ١/٣٤٧، ومعجم الأدباء: ١٩/١٥٥، ورأى صاحب مقالات الإسلاميين: ١/١٩٨ أنه كان صفرياً.

(٣) معجم البلدان: ١٩/١٦٢.

فإنك . . . .

فكتبتها، وقمت لأنصرف، فقال: اقعد، ثم أنشدني:

إلى كم تعاريني السيوف ولا أرى . . . .[1]

وروى أبو حاتم قال: «جئت أبا عبيدة يوماً ومعي شعر عروة بن الورد. . .»، فقال لي: ما معك؟ قلت: شعر عروة. قال: شعر فقير، يحمله فقير، ليقرأه على فقير. قلت: ما معي غيره، فأنشِدْني أنت ما شئت، فأنشدني:

يا رُبَّ ظل عُقاب قد وقيت به . . . .

ثم قال: «هذا والله هو الشعر، لا ما يتعلّلون به من أشعار المخانيث»[2].

ـ وقال عنه البغدادي: «وكان ـ مع شجاعته ـ من البلغاء، وله شعر جيد»[3].

ـ وقال عنه الذهبي: «له وقائع مشهورة، وشجاعة لم يُسمع بمثلها، وشعر فصيح سائر، فله:

أقول لها وقد طارت . . . . »[4]

ـ وقال عنه الحصري القيروانيّ: «وكان شاعراً جواداً»[5].

ـ وقال عنه الأبشيهي: «وأشعاره في الشجاعة تدلّ على مكانه منها»[6].

---

(١) أمالي المرتضى: ١/٦٣٧.
(٢) زهر الآداب: ١٠٢٨، وفي الأمالي للقالي: ١/٣١٥: «هذا الشعر لا ما تعلّلون به أنفسكم من أشعار المخانيث».
(٣) شرح شواهد المغني: ٣/٣١١.
(٤) سير أعلام النبلاء: ٤/١٥١.
(٥) زهر الآداب: ١٠٢٨.
(٦) المستطرف: ١/٤٨١.

ـ ووقع الاحتجاج بشعره في كتب النحو. ومن أبرز شواهد شعره النحوية قوله:

فلقد أراني للرماح دريئةً من عن يميني تارةً وأمامي

فهو شاهد على مجيء (عن) اسماً بمعنى جانب[1].

ـ واحتج النحويون بقوله:

لا يركنن أحدٌ إلى الإحجام يوم الوغى متخوِّفاً لحِمامِ

على مجيء الحال (متخوِّفاً) من النكرة (أحد) لوقوع النكرة في حيِّز النهي بلا[2].

* * *

وبعدُ، فقد كانت هذه دراسة موجزة عن قطري بن الفجاءة، الشخصية المتميِّزة الجذابة، الذي جمع بين وزارتيّ السيف والقلم، فقد بقي في ساحة الوزارة الأولى بضع عشرة سنة فارساً بطلاً لا يشق له غبار. وكان في حضن الوزارة الثانية شاعراً مهمّاً، متميِّزاً بصوته الأصيل، وفنه العقدي الهادف. وكان مع رفاقه من طائفة الشعراء الخوارج صفحة لافتة للنظر في تاريخ الشعر العربيّ القديم، بأصواتهم المفارقة للمألوف، ونغماتهم الصادقة التي كسرت أصداء النفاق والتزلّف والرتابة في بعض أغراض الشعر.

---

(١) انظر مغني اللبيب: ١/١٤٩، وشرح ابن عقيل: ٣/٢٩.
(٢) شرح ابن عقيل: ٢/٢٦٢.



القسم الثالث

المجموع من شعر قطري(*)

(*) جمعه الدكتور إحسان عباس في كتابه شعر الخوارج.

— ١ —

كتب قطري إلى أبي خالد القناني، أحد القعدة، يقول:

١ أبا خالد يا انفِرْ فلستَ بخالد ... وما جعل الرحمٰن عذراً لقاعد

٢ أتزعمُ أن الخارجيَّ على الهدى ... وأنت مقيمٌ بين لصٍّ وجاحد

— ٢ —

وقال:

١ لَعَمْرُكَ إني في الحياةِ لزاهدٌ ... وفي العيشِ ما لم ألقَ أمَّ حكيمِ

٢ من الخفراتِ البيضِ لم يُرَ مثلها ... شفاءً لذي بثٍّ ولا لسقيم

٣ لعمرك إني يومَ ألطمُ وجهها ... على نائباتِ الدهر جدُّ لئيم

٤ ولو شهدتني يومَ دولابَ أبصرتْ ... طعانَ فتىً في الحرب غيرَ ذميم

٥ غداة طفت عَ الماءِ بكرُ بن وائل ... وألافها من حميرٍ وسليم

٦ ومال الحجازيّون نَحْوَ بلادهم ... وَعُجْنا صدورَ الخيلِ نحو تميم

٧ وكان لعبد القيس أوّلُ جِدّها ... وولَّتْ شيوخُ الأزدِ فهي تعوم

٨ فلم أر يوماً كان أكثرَ مَقْعصاً ... يمجُّ دماً من فائظٍ وكليم[1]

٩ وضاربةٍ خداً كريماً على فتىً ... أغر نجيب الأمهات كريم

١٠ أصيب بدولابٍ ولم تكُ موطناً ... له أرضُ دولابٍ ودير حميم[2]

١١ فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا ... تبيحُ من الكفارِ كلَّ حريم

١٢ رأيت فتيةً باعوا الإله نفوسَهُمْ ... بجناتِ عَدْنٍ عنده ونعيم

---

(١) مقعصاً: من أقعصه برمحه، إذا طعنه فمات، وكذلك قعصه. فائظ: مائت.

(٢) أرض حميم: دير حميم، موضع بالأهواز.

— ٣ —

وقال: (طويل)

١ إذا قلتُ تسلو النفسُ أو تنتهي المنى ... أبى القلبُ إلا حبَّ أمِّ حكيمِ

٢ منعَّمةٌ صفراءُ حلوٌ دلالها ... أبيتُ بها بعد الهدوِّ أهيمُ

٣ قَطُوفُ[١] الخطى محطوطةُ المتنِ زانها ... مع الحسنِ خَلْقٌ في الجمالِ عميمُ

— ٤ —

وقال: (وافر)

١ أقولُ لها وقد طارتْ شَعَاعاً[٢] ... من الأبطالِ ويحك لن تراعي

٢ فإنكِ لو سألتِ بقاءَ يومٍ ... على الأجَلِ الذي لكِ لم تطاعي

٣ فصبراً في مجالِ الموتِ صبراً ... فما نيلُ الخلودِ بمستطاع

٤ ولا ثوبُ البقاءِ بثوبِ عِزٍّ ... فَيُطْوَى عن أخي الخنع[٣] اليراع

٥ سبيلُ الموتِ غايةُ كلِّ حيٍّ ... فداعيه لأهلِ الأرضِ داعِ

٦ ومن لا يُعْتَبَطْ[٤] يسأمْ ويهرمْ ... وَتُسْلِمْهُ المنونُ إلى انقطاع

٧ وما للمرءِ خيرٌ في حياةٍ ... إذا ما عُدَّ من سَقَطِ المتاع

— ٥ —

وقال: (بسيط)

١ يا رُبَّ ظلِّ عقابٍ[٥] قد وقيتُ بها ... مُهْري من الشمسِ والأبطالُ تجتلدُ

٢ وربَّ يومِ حمىً أرعيتُ عِقْوَتَه ... خيلي اقتصاراً وأطرافُ القنا قِصَد[٦]

٣ ويومِ لهوٍ لأهلِ الخفضِ ظلَّ به ... لهوي اصطلاءَ الوغى أو ناره تقِدُ

---

(١) قطوف: متقاربة الخطو؛ محطوطة المتن: ممدوة حسنة مستوية.

(٢) طارت شعاعاً، تفرقت وانتشرت من الخوف.

(٣) أخو الخنع: الذليل، اليراع: الجبان.

(٤) يعتبط: يموت من غير علّة؛ يسأم: يملّ من الهرم وتكاليفه.

(٥) العقاب: الراية.

(٦) قصد: مكسّرة.

٤ مشهّراً موقفي والحربُ كاشفةٌ عنها القناعَ وبحرُ الموتِ يطّرد
٥ وربَّ هاجرةٍ تغلي مراجلها مَخَرْتُها بمطايا غارةٍ تَخِدُ[1]
٦ تجتابُ أوديةَ الأفزاعِ[2] آمنةً كأنها أُسُدٌ تقتادها أُسُدُ
٧ فإن أَمُتْ حَتْفَ أنفي لا أَمتْ كمداً على الطِّعانِ وقصرُ العاجزِ الكمد
٨ ولم أقلْ لم أُساقِ الموتَ شاربه في كأسِهِ، والمنايا شُرَّعٌ وُرُدُ[3]

— ٦ —

وقال: (طويل)

١ إلى كم تغاريني[4] السيوفُ ولا أرى مُغَاراتِها تدعو إليَّ حماميا
٢ أُقارعُ عن دار الخلودِ ولا أرى بقاءً على حالٍ لمن ليس باقيا
٣ ولو قرَّبَ الموتَ القراعُ لقد أَنَى لموتيَ أَنْ يدنو لطولِ قراعيا
٤ أُغادي جلادَ المُعْلَمينَ[5] كأنني على العَسَلِ الماذيِّ أُصبحُ غاديا
٥ وَأَدعو الكماةَ للنزالِ إذا القنا تحطَّم فيما بيننا من طعانيا
٦ ولستُ أرى نفساً تموتُ وإن دنت من الموتِ حتى يبعثَ اللهُ داعيا
٧ إذا استلبَ الخوفُ الرجالَ قلوبَهُمْ حبسنا على الموتِ النفوسَ الغواليا
٨ حذارَ الأحاديثِ التي لَوْمُ غيِّها عَقَدْنَ بأعناقِ الرجالِ المخازيا

— ٧ —

وقال: (كامل)

١ لا يَرْكَنَنْ أَحَدٌ إلى الإحجامِ[6] يومَ الوغى متخوِّفاً لحمامِ

---

(١) مخر شقَّ ونفذ في؛ تخد: تسرع في المشي.
(٢) الأفزاع: المخاوف.
(٣) شُرَّع: شرعت نحو الماء كي ترد.
(٤) تغاريني: تولع بي، والمغاراة أيضاً المتابعة، وإذا رويت تعاريني بالعين المهملة، فذلك من لقائها عارية.
(٥) المعلم: الفارس المشهر في الحرب بعلامة؛ الماذيّ: العسل الأبيض.
(٦) يركن: يميل؛ الإحجام: النكوص.

٢ فلقد أراني للرماح دَرِيئَةً[١] من عن يميني مرةً وأمامي
٣ حتى خضبت بما تحدَّر من دمي أكنافَ سرجي أو عنانَ لجامي
٤ ثم انصرفتُ وقد أصبت ولم أُصَبْ جَذَعَ البصيرة قارحَ الإقدام[٢]
٥ متعرضاً للموتِ أضربُ معلماً بُهْمَ الحروبِ مشهَّر الأعلام
٦ أدعو الكماةَ إلى النزالِ ولا أرى نحرَ الكريم على القنا بحرام

ـ ٨ ـ

وقال: (طويل)

١ ألا أيها الباغي البرازَ تقرَّبنْ أُساقِكَ بالموتِ الذُّعافَ المقشَّبا[٣]
٢ فمافي تساقي الموتِ في الحرب سُبَّةٌ على شاربيه فاسقني منه واشربا

ـ ٩ ـ

وقال: (منسرح)

١ يا نفس لا يلهينَّكِ الأمَلُ فربما أكذبَ المنى الأجلُ

ـ ١٠ ـ

وقال يذكر ضعف خالد بن عبدالله بن أسيد في لقاء الأزارقة، وكيف تغيرت الحال حين تولّى القيادة المهلب: (طويل)

١ ألم يأْتِها أني لعبتُ بخالدٍ وجاوزتُ حدَّ اللعبِ لولا المهلبُ
٢ وأنا أخذنا مالَه وسلاحَهُ وسُقنا له نيرانَها تتلهَّب
٣ فلم يبقَ منه غيرُ مهجةِ نفسِهِ وقد كان منه الموتُ شبراً وأقرب
٤ ولكن مُنينا بالمهلبِ إنه شجىً قاتلٌ في داخل الحلقِ مُنْشَب

---

(١) الدريئة بالهمز من الدرء وهو الدفع، والدريّة: الحلقة التي يتعلم عليها الطعن.
(٢) جذع: شاب حدث، قارح: انتهى سنه، ومعنى البيت كما فسره أبو العلاء المعري انه قد كان لم يزل شجاعاً فإقدامه قارح، وبصيرته محدثة لأنه كان فيما سلف لا يرى رأي الخوارج ثم تبصر في آخر أمره فعلم أنهم على الحق.
(٣) الذعاف: سم ساعة؛ المقشب: الذي خلطت به أدوية تقويه.

ـ ١١ ـ

لمّا تولى بشر بن مروان أمر العراق عزل المهلب عن حرب الخوارج مخالفاً بذلك ما كان أمره به عبدالملك، فطمع الأزارقة في الظفر ورجعوا من سابور ونزلوا الأهواز، وكتب قطري إلى بشر: (طويل)

١ ألا قل لبشر إن بشراً مُصَبَّحُ ... بخيلٍ كأمثال السراحين شُزَّبِ[1]

٢ يقحّمها عمرو القنا وعُبَيْدَةٌ ... مُفَدّىً خلالَ النقع بالأم والأبِ

٣ هنالك لا تبكي عجوزٌ على ابنها ... فأبشرْ بجدعٍ للأنوفِ موعَّبِ[2]

٤ ألم ترنا واللَّهُ بالغُ أمره ... ومن غالب الأقدارَ بالشرّ يُغْلَبِ

٥ رجعنا إلى الأهوازِ والخيلُ عُكَّفٌ ... على الخير، ما لم ترمنا بالمهلبِ

ـ ١٢ ـ

وقال يرتجز: (رجز)

١ إن شجانا في الوغى المهلَّبُ

٢ ذاك الذي سنانُهُ مخضَّب

ـ ١٣ ـ

وقال أيضاً يرتجز: (رجز)

١ سبحان ربي باعثِ العبادِ

٢ سبحان ربي حاكمِ المعادِ

ـ ١٤ ـ

وقال أيضاً: (مشطور الرجز)

١ إن يلقَني بحدّه المهلبُ

٢ أصْبِرْ وإلا لم يَضِرْني المهرب

---

(١) السراحين: الذئاب؛ شُزّب: ضوامر.

(٢) جَدْعٌ موعب: مستقصى فيه.

٣ شيخٌ بشيخ، ذا وذا مُجَرَّبُ
٤ رمحاهما كلاهما مخضَّبْ

– ١٥ –

وقال وقد سمع من يحرضه بقوله: «حتى متى يتبعنا المهلب؟»: (مشطور الرجز)

١ حتى متى تُخْطئني الشهادَهْ
٢ والموتُ في أعناقنا قِلادهْ
٣ ليس الفرارُ في الوغى بعادهْ
٤ يا ربِّ زدني في التقى عبادهْ
٥ وفي الحياةِ بعدها زَهَادهْ

– ١٦ –

وقال وقد نصحه أصحابه أن يمضي فلا يرجع، أو يقيم فلا يقاتل، فأبى، وذكر فيها هزيمته أمام المغيرة بن المهلب: (طويل)

١ لعمري لئن كُنَّا أُصبنا بنافعٍ ... وأمسى ابنُ ماحوزٍ قتيلاً ملحّبا[1]
٢ لقد عَظُمَتْ تلك المصيبةُ فيهما ... وأعظمُ من هاتين خوفي المهلبا
٣ رُمينا بشيخ يفلقُ الصخرَ رأيُهُ ... يراه رجالٌ حول رايتهِ أبا
٤ نفاكم عن الجسرِ المهلبُ عَنْوةً ... وعن صحصحِ الأهواز نفياً مشذّبا[2]
٥ وأنحى عليكم يومَ إربلَ نابَهُ ... وكان من الأيامَ يوماً عصبصبا[3]
٦ فلن تهزموه بالمنى فاصبروا له ... وقولوا لأمرِ الله أهلاً ومرحبا
٧ فما الدين كالدنيا ولا الطعنُ كالمنى ... ولا الضرُّ كالسَّرا ولا الليثُ ثعلبا

---

(١) ملحب: مضروب بالسيف، مقطع.
(٢) شذَّب: طرد ومزَّق وفرَّق.
(٣) عصبصب: شديد.

ـ ١٧ ـ

وقال في ما كان بينه وبين المغيرة: (طويل)

١	لعمري لئن كان المزوني[١] فارساً	لقد لقي القَرْمُ المزوني فارسا
٢	تناولتُهُ بالسيفِ والخيلُ دونَهُ	فبادرني بالجُرْزِ ضَرْباً مخالِسَا[٢]
٣	فوليتُ عنه خَوْفَ عَوْدَةِ جُرْزِهِ	وولّى كما ولَّيتُ يخشى الدهارسا[٣]
٤	كلانا، يقول الناس، فارسُ جَمْعِهِ	صبرتُ فلم أحبس ولم يكُ حابسا[٤]
٥	فدونكها يا ابنَ المهلبِ ضربةً	جدعتُ بها من شانئيك المعاطسا[٥]
٦	وأُقسمُ لو أني عرفتُك ما نجا	بك المهرُ أو تجلو علينا العوابسا
٧	فتعلمَ إذ لا قيتني أن شَدَّتي	تُخَافُ فَسَلْ عني الرجالَ الأكايسا
٨	يقولوا بلاَ منه المغيرةُ ضربةً	فأصبحتَ منها للغضاضة لابسا
٩	فقلتُ بلى ما من إذا قيل: مَنْ له	تسمَّ له، لم أَغْضُضِ الطرفَ ناكسا[٦]
١٠	فتىً لا يزال الدهرَ سُنَّةُ رمحهِ	إذا قيل هل من فارسٍ أن يداعسا[٧]

ـ ١٨ ـ

وقال يرتجز وهو يهجم على ابن معمر: (مشطور الرجز)

١ كان المزونيُّ إذا بدا لَهْ

٢ أن تلقح الحربُ دعا أَشبالَهْ

٣ ثمَّ حَذَاهم في الوغى نعالَهْ

٤ حتى يكونوا عندها أمثالَهْ

---

(١) المزونيّ: العماني، وكانت العرب تسمي عمان «المزون».

(٢) الجرز: العمود من الحديد.

(٣) الدهارس: جمع دهرس وهي الداهية.

(٤) أحبس... حابساً: كذا وردت، ولعلَّ الصواب «فلم أخنس» أي أتراجع وأتأخر.

(٥) المعاطس: الأنوف، شانئيك: مبغضيك، ولا أراه مناسباً للسياق، ولعله «شانئي».

(٦) يعني ليس هناك فارس يقال لي تسمّ له، فلا أغض طرفي حياءً من التسمّي له، سوى المغيرة.

(٧) يداعس: يضارب بالرمح حتى ينكسر.

٥ لعلَّ هذا طالبٌ فعالَهْ
٦ لا تطمعنْ فيه فلن تنالَه[١]

– ١٩ –

قتل قطري عمرو بن عامر السعدي حين تجرأ فاتهمه بالهرب من وجه المهلب، ففارقه على أثر ذلك جماعة من أصحابه، وبقي مغموماً وضاق به الأمر ولم يدر ما يصنع فأنشأ يقول: (طويل)

١ أقولُ لنفسي حين طال حصارها — وفارقها للحادثات نصيرُها
٢ لكِ الخيرُ موتي إن في الخيرِ راحةً — فيأتي عليها حَيْنُها ما يضيرها
٣ فلو أنها ترجو الحياةَ عذرتها — ولكنها للموت يُحْدَى بعيرها
٤ وقد كنت أوفي للمهلَّبِ صاعَهُ — ويشجى بنا والخيلُ تُثْنَى نحورها[٢]
٥ إذا ما أتت خيلٌ لخيلٍ لقيتُها — بأقرانها أُسْداً تَدانَى زئيرها
٦ ولا يبتغي الهنديُّ إلا رؤوسها — ولا يلتقي الخطيَّ إلا صدورُها
٧ ففرّق أمري عبدُ ربٍّ وَصَحْبُهُ — أدار رحى موتٍ عليه مديرها
٨ فقدِماً رأى منا المهلب فرصةً — فها تلك أعدائي طويلٌ سرورها
٩ وأعظمُ من هذا عليَّ مصيبةً — إذا ذكرتها النفسُ طال زفيرها
١٠ فراقُ رجالٍ لم يكونوا أذِلَّةً — وقتلُ رجالٍ جاش منها ضميرها
١١ لقونيَ بالأَمْرِ الذي في نفوسهم — ولا يقتل الفجّارَ إلا فجورها
١٢ غبرنا زماناً والشراةُ بغبطةٍ — يُسَرُّ بها مأمورها وأميرها

– ٢٠ –

وقال: (طويل)

١ وربَّ مصاليتٍ[٣] نشاطٍ إلى الوغى — سراعٍ إلى الداعي كرامِ المقادمِ

---

(١) هذا إشارة إلى ابن معمر، ولم يكن في رأي قطري والخوارج بمنزلة المهلب في الحرب والمكيدة.

(٢) تثنى نحورها: تردّ وتعطف، ولعل الصواب «تدمى».

(٣) مصاليت: جمع مِصْلَت وهو الماضي في الأمور: المقادم: الوجوه والنواصي والجبهات.

٢ أَخَضْتُهُمْ بَحْرَ الحِمامِ وَخُضْتُهُ رجاءَ الثوابِ لا رجاءَ المغانم
٣ فأُبنا وقد حُزْنا الثوابَ ولم نُرِدْ سوى ذاك غُنْماً وابتناءِ المكارم

ـ ٢١ ـ

قال وكتب بها إلى سميرة بن الجعد أحد أصحابه، حين أصبح جليساً للحجاجِ: (طويل)

١ لشتّان ما بين ابنِ جعدٍ وبيننا إذا نحنُ رُحْنا في الحديدِ المظاهَرِ[1]
٢ نجالدُ فرسانَ المهلب، كلُّنا صبورٌ على وقع السيوفِ البواتر
٣ وراح ابنُ جعدِ الخيرِ نحو أميره أميرٍ بتقوى ربِّهِ غيرِ آمر
٤ أبا الجعد أين العلمُ والحلمُ والنهى وميراثُ آباءٍ كرامِ العناصر
٥ ألم ترَ أَنَّ الموتَ لا شكَّ نازلٌ ولا بعثَ إلا للألى في المقابر
٦ حفاةً عراةً والثوابُ لرّبهم فمن بين ذي ربح وآخرَ خاسر
٧ فإن الذي قد نلتَ يفنى وإنما حياتُكَ في الدنيا كوقعة طائر
٨ فراجعْ أبا جعدٍ ولا تكُ مغضياً على ظُلْمةٍ أعْشَتْ جميعَ النواظر
٩ وتبْ توبةً تُهدي إليكَ شهادةً فإنك ذو ذنب ولستَ بكافر[2]
١٠ وسرْ نحونا تلقَ الجهادَ غنيمةً تُفِدْكَ ابتياعاً رابحاً غير خاسر
١١ هي الغايةُ القصوى الرغيبُ ثوابُها[3] إذا نال في الدنيا الغنى كلُّ تاجر

ـ ٢٢ ـ

وقال يرتجز يوم قتل، قتله ابن الحرّ ورجل كلبي بالريّ: (رجز)

١ أنا أَبو نعامةَ الشيخ الهِبَلّ[4]
٢ أنا الذي وُلِدْتُ في أُخْرى الإبلْ[5]

---

(١) المظاهر: الذي لبس بعضه فوق بعض، كأن يظاهر المحارب بين درعين؛ والحديد: الدرع.
(٢) أي أن ذنبه لا يعد كبيرة، وإلا لكان في مذهب الأزارقة كافراً.
(٣) الرغيب: الواسع العظيم.
(٤) الهبل: العظيم الخلقة.
(٥) ولد في أخرى الإبل يعني أنه أعرابي.



المصادر والمراجع

١ ــ الأخبار الطوال: للدينوري، تحقيق عبدالمنعم عامر، دار المثنى، بغداد، من دون تاريخ.

٢ ــ أدب السياسة في العصر الأموي: د. أحمد محمد الحوفي، دار القلم. بيروت: ١٩٦٥ م.

٣ ــ الاشتقاق: لابن دريد، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة المثنى، بيروت: ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م. ط ثانية.

٤ ــ الأعلام: للزركلي. ط ثالثة.

٥ ــ الأغاني: لأبي الفرج الأصبهاني، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، بيروت.

٦ ــ أمالي المرتضى، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم. عيسى البابي الحلبي، مصر: ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م.

٧ ــ الأوائل: لأبي هلال العسكري، تحقيق د. وليد قصّاب ومحمد المصري. دار العلوم، الرياض: ١٩٨١ م، ط ثانية.

٨ ــ البرصان والعرجان: للجاحظ، تحقيق د. محمد مرسي الخولي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ثانية: ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.

٩ ــ تاج العروس: للزبيدي.

١٠ ــ تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان، ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار، دار المعارف، بمصر: ط رابعة.

١١ ــ تاريخ الرسل والملوك: لأبي جعفر الطبري، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر: ط رابعة.

١٢ ــ تاريخ اليعقوبي. ط دار صادر، بيروت. من دون تاريخ.

١٣ ــ التذكرة السعدية: محمد بن عبد الرحمٰن العبيدي، تحقيق عبدالله الجبوري، المجمع العلمي العراقي: ١٩٧٢ م.

١٤ ــ البيان والتبيين: للجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة: ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م. ط رابعة.

١٥ ــ جمهرة أنساب العرب: لابن حزم، تحقيق عبدالسلام هارون، دار المعارف بمصر: ط خامسة.

١٦ ــ حماسة البحتري: دار الكتاب العربي، بيروت: ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م. ط ثانية.

١٧ ــ الحيوان: للجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، عيسى البابي الحلبي، القاهرة: ط ثانية.

١٨ ــ خزانة الأدب: عبدالقادر البغداديّ، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط أولى: ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٢ م.

١٩ ــ ديوان عنترة، تحقيق محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، دمشق، من دون تاريخ.

٢٠ ــ رسائل الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة: ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م.

٢١ ــ الروض المعطار في خبر الأقطار: محمد عبدالمنعم الحميري، تحقيق د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت: ١٩٧٥ م.

٢٢ ــ زهر الآداب: للحصري القيرواني، تحقيق علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي، بمصر ١٩٥٣ م.

٢٣ ــ سمط اللآلي: لأبي عبيد البكري، تحقيق عبدالعزيز الميمني، دار الحديث، بيروت: ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م. ط ثانية.

٢٤ ـ سير أعلام النبلاء: للذهبي، تحقيق مأمون صاغري، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م، ط ثانية.
٢٥ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، المكتب التجاري، بيروت، من دون تاريخ.
٢٦ ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار التراث، القاهرة: ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م، الطبعة العشرون.
٢٧ ـ شرح ديوان الحماسة: للتبريزي، عالم الكتب، بيروت، من دون تاريخ.
٢٨ ـ شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، تحقيق أحمد أمين، عبدالسلام هارون. لجنة التأليف والترجمة، القاهرة: ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م.
٢٩ ـ شرح شواهد المغني: عبدالقادر البغدادي، تحقيق عبدالعزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق، دار المأمون، دمشق: ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م.
٣٠ ـ شرح شواهد المغني للسيوطي، لجنة التراث، بيروت، من دون تاريخ.
٣١ ـ شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، القاهرة: ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م. ط ثانية.
٣٢ ـ الشعر السياسيّ: أحمد الشايب، دار القلم، بيروت: ١٩٧٦ م، ط سادسة.
٣٣ ـ الشعر والشعراء: لابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر: ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م.
٣٤ ـ شعر الخوارج: جمع وتحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الشروق، بيروت: ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م. ط رابعة.
٣٥ ـ الصحاح: للجوهري.

٣٦ ـ العصر الإسلامي: د. شوقي ضيف، دار المعارف، بمصر: الطبعة التاسعة.

٣٧ ـ العقد الفريد: لابن عبد ربه، تحقيق أحمد أمين، إبراهيم الإبياري، عبدالسلام هارون، القاهرة: ١٩٤٩ م.

٣٨ ـ العفو والاعتذار: لأبي الحسن العبدي، تحقيق د. عبدالقدوس أبو صالح، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض: ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.

٣٩ ـ عيون الأخبار: لابن قتيبة، الهيئة المصرية العامة، القاهرة: ١٩٧٣ م.

٤٠ ـ غرر الخصائص الواضحة: للوطواط، دار صعب، بيروت، من دون تاريخ.

٤١ ـ الفرق الإسلامية في الشعر الأموي: د. النعمان القاضي، دار المعارف بمصر، من دون تاريخ.

٤٢ ـ الفرق بين الفرق: عبدالقاهر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة محمد علي صبيح، بمصر، من دون تاريخ.

٤٣ ـ الكامل: لابن الأثير، دار صادر، بيروت: ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م.

٤٤ ـ الكامل: للمبرد، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم والسيد شحاتة، دار نهضة مصر، من دون تاريخ.

٤٥ ـ لسان العرب: لابن منظور.

٤٦ ـ المحبّر: محمد بن حبيب، تحقيق الدكتورة إيلزه شتيتر، دار الآفاق، بيروت، من دون تاريخ.

٤٧ ـ مروج الذهب: للمسعودي، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت: ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

٤٨ ـ المستطرف: شهاب الدين الأبشيهي، تحقيق د. محمد مفيد قميحة، دار الكتب العربية، بيروت: ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م. ط ثانية.

٤٩ ـ المعارف: لابن قتيبة، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة، دار المعارف، بمصر، ط ثالثة.
٥٠ ـ معجم الأدباء: لياقوت، دار الفكر، بيروت: ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م. ط ثالثة.
٥١ ـ معجم البلدان: لياقوت.
٥٢ ـ معجم ما استعجم: لأبي عبيدالله البكري، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت: ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م. ط ثالثة.
٥٣ ـ مغني اللبيب: لابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة المدني، القاهرة، من دون تاريخ.
٥٤ ـ مقالات الإسلاميين: لأبي الحسن الأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية: ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م.
٥٥ ـ الملل والنحل: للشهرستاني، تحقيق الدكتور عبداللطيف محمد العيد، مكتبة الأنجلو مصرية: ١٩٧٧ م.
٥٦ ـ منهاج البلغاء: حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، تونس: ١٩٦٦ م.
٥٧ ـ النجوم الزاهرة: لجمال الدين الأتابكي، نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية، من دون تاريخ.
٥٨ ـ الوساطة: للجرجاني، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي، مصر: ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م.
٥٩ ـ وفيات الأعيان: لابن خلكان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.





الفهرست

للمؤلف

أولاً: دراسات في الأدب والنقد:

١ ـ قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم: دار العلوم، الرياض: ١٩٨٠م، المكتبة الحديثة، العين: ١٩٨٥م، دار الثقافة الدوحة: ١٩٩٢م.

٢ ـ التراث البلاغي والنقدي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري: دار الثقافة، الدوحة: ١٩٨٥م.

٣ ـ دراسات في النقد الأدبي: دار العلوم، الرياض: ١٩٨٣م.

٤ ـ الطرماح بن حكيم: السنة المحمدية، القاهرة: ١٩٧٨م.

٥ ـ نصوص النظرية النقدية عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الثالث الهجري: المكتبة الحديثة، العين: ١٩٨٧م.

٦ ـ النظرة النبوية في نقد الشعر: المكتبة الحديثة، العين: ١٩٨٩م. دار المنار، دبي: ١٩٩٢م.

٧ ـ في الأدب والنقد واللغة (بالاشتراك) مكتبة الفلاح، الكويت: ١٩٨٦م.

٨ ـ شخصيات إسلامية في الأدب والنقد. دار الثقافة، الدوحة: ١٩٩٢م.

ثانياً: تحقيق التراث:

١ ـ الأوائل: أبو هلال العسكري (جزءان، بالاشتراك) وزارة الثقافة، دمشق: ١٩٧٥م، دار العلوم، الرياض: ١٩٨٠م.

٢ ـ ديوان عبدالله بن رواحة (ودراسة في سيرته وشعره) دار العلوم، الرياض: ١٩٨١ م، دار الضياء، عمان: ١٩٨٨ م.

٣ ـ الأفضليات: لابن الصيرفي (بالاشتراك) مجمع اللغة العربية، دمشق: ١٩٨٢ م.

٤ ـ ديوان محمود الوراق (جمع وتحقيق ودراسة) مؤسسة الفنون، عجمان: ١٩٩١ م.

٥ ـ الأشراف: ابن أبي الدُّنيا، دار الثقافة، قطر: ١٩٩٢ م.

ثالثاً: أعمال إبداعية:

١ ـ عالم وضحايا (ديوان شعر) القاهرة: ١٩٧٢ م.

٢ ـ يوميات من رحلة بحار (ديوان شعر) السنة المحمدية، القاهرة: ١٩٧٨ م.

٣ ـ ذكريات وأصداء (ديوان شعر) نادي الرياض الأدبي: ١٩٨٠ م، المكتبة الحديثة، العين: ١٩٨٥ م.

٤ ـ صور من بلادي (ديوان شعر) مؤسسة الرسالة بيروت: ١٩٨٥ م، المكتبة الحديثة، العين: ١٩٨٦ م.

٥ ـ فارس الأحلام القديمة (ديوان شعر) دار الثقافة، الدوحة: ١٩٩٠ م.

٦ ـ هدية العيد (مجموعة قصص) وزارة الثقافة، دمشق: ١٩٧٣ م.

٧ ـ الخيط الضائع (مجموعة قصص) الهيئة المصرية، القاهرة: ١٩٨٦ م.


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com